

هَكَذَا يَكُونُ الرِّقِيُّ

بالأمة

[رؤية واقعية - رؤية تأصيلية - رؤية مستقبلية]

تقديم

د. حسن بن علي الحجاجي د. سعيد بن مسفر القحطاني

إعداد

د. عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

www.ashabulalukah.net
هداء من شجرة الألوكة
هَكَذَا يَكُونُ الرُّقِي

شجرة
الألوكة
www.ashabulalukah.net

بِالْأُمَّةِ

[رؤية واقعية - رؤية تأصيلية - رؤية مستقبلية]

تقديم

د. حسن بن علي الحجاجي د. سعيد بن مسفر القحطاني

إعداد

د. عبد الرحمن بن سعيد الحازمي



٢٢٣ هـ (ح) المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في شرق جدة، ١٤٢٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحازمي ، عبد الرحمن بن سعيد

هكذا يكون الرقي بالأمّة . / عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

الرياض ، ١٤٢٣ هـ

ردمك : ٢ - ٢ - ٩٠٢٠٦ - ٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية أ. العنوان

٤٣٧٣ / ١٤٢٣

ديوي ٢١٢

رقم الإيداع : ٤٣٧٣ / ١٤٢٣

ردمك : ٢ - ٢ - ٩٠٢٠٦ - ٩٧٨



تقديم كل من

د. حسن بن علي الحجاجي

د. سعيد بن مسفر القحطاني



تقديم: فضيلة الدكتور / حسن بن علي الحجاجي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى

بهدهاء.

فقد اطلعت على بحث الدكتور/ عبد الرحمن بن سعيد الحازمي والذي بعنوان : (هكذا يكون الرقي بالأمة) فأقول وبالله التوفيق : إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي خير الأمم على الإطلاق بقول الحق سبحانه وتعالى : [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ]^١.

وأن هذه الخيرية لهذه الأمة ما حصلت عليها إلا بترية النبي صلى الله عليه وسلم لها على منهج قويم، وإذا أردنا لهذه الأمة اليوم أن تتبوأ المكانة اللائقة بها فما علينا إلا أن نترسم الطريق الذي رسمه لها الحق سبحانه وتعالى ووجه إليه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، ولن يصلح آخر هذا الأمة إلا بما أصلح به أولها وأن المسؤولية في ذلك على العلماء والمفكرين والدعاة وطلبة العلم وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وقد اطلعت على هذا البحث الذي يضع المعالم الرئيسة للرقي بالأمة في شخص علها ويضع العلاج الناجع لها في رؤية مستقبلية ورؤية تأصيلية، ولقد جعله الباحث في مقدمة وعشرين مبحثاً بدأها بتمهيد للدراسة وثنى بذكر أهم المقومات للرقي بالأمة، ثم ضمنه خاتمة وتوصيات لهذا الموضوع المهم.

والبحث له أهميته وجدير بالقراءة والإطلاع والتأمل وهو باكورة عمل وخطوة في مشوار لهذا الأمر المهم الذي يتعلق برقي أمة الإسلام.

جزى الله الباحث خير الجزاء، وأثابه على هذا الجهد وسدد على طريق الخير خطاه. والله الموفق.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

عميد معهد إعداد الأئمة والدعاة

د. حسن بن علي الحجاجي

١٤٣٣/٢/٢٢ هـ



(١) (مدير عام فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في منطقة مكة المكرمة سابقاً وعميد معهد إعداد الأئمة والدعاة في رابطة العالم الإسلامي حالياً).

(٢) (آل عمران : ١١٠).

تقديم : فضيلة الدكتور / سعيد بن مسفر القحطاني ٣

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد :

فلا أحد ينكر أن الأمة الإسلامية اليوم تقبع في ذيل الأمم رغم أنها الأمة الرائدة والقائدة والتي تملك جميع مقومات الرقي والتحضر وأنها مؤهلة لقيادة البشرية إلى ساحل النجاة وبر الأمان وإلى سعد الدنيا والآخرة .

ولقد عرفت الإنسانية السعادة والرخاء والأمن والعدل حينما قامت دولة الإسلام الأولى في القرون المفضلة الثلاثة، وهذه الأمة لا تزال تملك تلك المقومات إذا أدركت مسؤوليتها وقامت بواجبها.

وفي هذه الرسالة التي شرفني كاتبها سعادة الدكتور عبد الرحمن بن سعيد الحازمي بالتقديم لها ، يجد القارئ الكريم رؤية واضحة لتلك المقومات ابتداء من غرس العقيدة الصحيحة ثم تربية الفرد على المنهج الذي سيصل به إلى الكمال البشري عن طريق العمل الجماعي في ظل أداء الأمانة والاهتمام بالجودة والإتقان والعمل المنظم، وغير ذلك من الأساليب والطرق التي تعرض لها - حفظه الله - .

وحيث إن الرقي بأممتنا العزيزة مسؤولية مشتركة يجب أن نتعاون الجميع على القيام بها ، فإنني أنادي بما نادى به المؤلف من ضرورة استشعار هذه المسؤولية والبدء في القيام بها انطلاقاً من الفرد ثم الأسرة والمجتمع.

سائلاً الله عز وجل أن يعيد لأمتنا الغالية مجدها وعزها وسؤدها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

د. سعيد بن مسفر القحطاني

١٤٣٣/٤/١هـ



مقدمة



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الأولين والآخرين، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

فإن ما حدث في الآونة الأخيرة من اضطرابات، وتصدعات في بعض المجتمعات الإسلامية أختصر الكثير من الكلام، وأثبت بالواقع المنظور أن بعض مجتمعاتنا الإسلامية تعاني من خلل في الكثير من شؤون الحياة، وحتى تحقق أمتنا الإسلامية مكانها اللائق بها اليوم بين الأمم بإذن الله تعالى، فإنه يجب على الجميع حكماً، ومحكومين أن يتعاونوا كل في موقعه، لتطوير مجتمعاتهم والرقى بها بإخلاص، وصدق، وحكمة.

من هذا المنطلق حرصت بجهد المقل على إعداد دراسة تحوي جملة من المقومات التي تعين بتوفيق الله تعالى على تطوير، ورقى مجتمعاتنا، وأمتنا، ولا شك أن وضع هذه المقومات موضوع مهم للغاية، ووضعها ليس بالسهولة بمكان، وكدت في بعض الأحيان أن أتوقف عن الكتابة لما رأيته من ضخامة الموضوع، وأهميته.

ويعون الله تعالى فقد استشرت بعض أهل العلم في هذا الموضوع، فوجدت منهم تأييداً، وتشجيعاً، وممن كان لهم الأثر الكبير بعد الله تعالى في مواصلة هذه الدراسة : معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ومعالي الدكتور محمد بن علي السميح المستشار المشرف على مكتب وزير الشؤون الإسلامية، وفضيلة الدكتور حسن بن علي الحجاجي، عميد معهد إعداد الأئمة والدعاة في رابطة العالم الإسلامي جزاهم الله عني، وعن الإسلام، والمسلمين خير الجزاء.

وقبل أن أختم هذه المقدمة، أود الإشارة إلى أمرين مهمين :



أولاً : إن من البشائر التي تفتح أبواب الأمل والحمد لله تعالى أن هناك بعض المجتمعات الإسلامية اليوم خطت خطوات ثابتة، وأخذت بأسباب التقدم والرقى، في كثير من المجالات الأساسية للتقدم، ومنها : التعليم، والصناعة، والتكنولوجيا، والحاسب الآلي.

ثانياً : سكون عرض هذه المقومات بإذن الله تعالى بذكر ملامح، وإشارات عامة، تبين أهمية كل مقوم في الرقي بالأمة، لأن البحث، والتقصي الدقيق لكل مقوم، أمر في غاية الصعوبة، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وبتوفيق الله تعالى، تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة، وعشرين مبحثاً، تناول المبحث الأول : تمهيداً للدراسة، ثم من المبحث الثاني إلى المبحث التاسع عشر، تناولت ثمانية عشر مقوماً، وجاء المبحث العشرون متضمناً خاتمة الدراسة، وتوصياتها، وشكراً وتقديراً، ثم أهم المصادر والمراجع، وقائمة المحتويات.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی أن يهديني، ويسددني في عرض هذا الموضوع، وما كان فيه صواباً، فهو من الله تعالى وحده، فله سبحانه الحمد والمنة، وإن وجد فيه خلل، أو قصور، فهو من تقصيري، وقلة ضاعتي، وأعتذر منه، ورجم الله امرأً أهدى إلي عيوبي.



المبحث الأول

تمهيدي

المبحث الأول :تهيدي

يتضمن هذا المبحث عدة نقاط : ما هي أسباب وضع مقومات للرقى بالأمّة ؟
على من تقع مسؤولية تنفيذ هذه المقومات ؟ أهداف الدراسة ، مصطلحات الدراسة.
ما هي أسباب وضع مقومات للرقى بالأمّة ؟

- من الطبيعي أن تكون هناك أسباب دافعة لكتابة هذا الموضوع ، ومن ذلك :
- ١- بطء التطور والتقدم في بعض المجتمعات الإسلامية مقارنة بالمجتمعات المتقدمة.
 - ٢- قلة وجود إنجازات ، ومشروعات متميزة ، ولافتة للأنظار إلا في حدود ضيقة ، وفي أزمنة متباعدة.
 - ٣- ضعف وضوح الرؤية لحقائق ، وأحكام الدين عند بعض المسلمين .
 - ٤- كثرة الاضطرابات ، والصراعات داخل بعض المجتمعات الإسلامية.
 - ٥- ضعف وجود خطط ، واستراتيجيات واضحة ، ومحددة لمسار الكثير من الأعمال في مختلف القطاعات.
 - ٦- شيوع الفردية والأنانية وضعف التماسك داخل عناصر المجتمع الواحد.
 - ٧- ضعف تماسك المجتمعات الإسلامية بعضها بعضاً ، وكل مجتمع يغرد لوحده ، ويسعى لمصالحه فقط.
- على من تقع مسؤولية تنفيذ هذه المقومات ؟

سؤال طبيعي يطرح نفسه بشكل مباشر ، وهو : على من تقع مسؤولية تنفيذ هذه المقومات ؟ ذلك أن بعض المقومات يتضح أنها واسعة المضمون ، متعددة الجوانب ، بعيدة القياس في المدى القريب ، بل نستطيع القول أن كل المقومات تحتاج إلى جهد كبير ، وعمل مؤسسي منظم ، ومتقن ، ومدرّوس.



واعتقد جازماً، وبكل وضوح تام أن مسؤولية تنفيذ هذه المقومات مسؤولية جماعية لا يخلو منها أي شخص مهما كان، وفي أي موقع، ذكراً، أم أنثى، كبيراً، أم صغيراً، على الجميع لا بد أن يستشعر مسؤوليته تجاه الرقي بمجتمعه، وبأتمته، ومن تولى عن القيام بمسؤوليته فإنه سيُلحق الضرر بنفسه وبمجتمعه، وبأتمته، وحينئذ فإنه سيأثم بسبب تقصيره، ويعرض نفسه للعقوبة من الله تعالى إن استمر في إهماله، وعدم مبالاته.

إن هذه المسؤولية الجماعية سر من أسرار تقدم الأمم والشعوب، وأن أي شخص يتغلى عن القيام بدوره، ومهامه، ومسؤولياته مهما كان هذا الدور صغيراً، فسيكون هناك فراغ لا يشغله أحد، فعلى سبيل المثال : إذا تخلت الأم عن تربية أولادها، وتركتهن للمربيّات، والخادمات، فماذا سيكون حال هؤلاء الأولاد مستقبلاً، وخصوصاً إذا لم يكن هناك إشراف ومتابعة من قبلها ؟

وحول المسؤولية الفردية لكل شخص في المحافظة على مجتمعه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام، الله الله، لا يؤتى الإسلام من قبلك " (هذا الحديث ضعفه الألباني، ثم قال : ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وسلم عند أبي داود، والبيهقي، والنسائي، والطبراني في الأوسط : " استقبل هذا الشعب، حتى تكون في أعلاه، ولا تُغرَّن من قبلك الليلة ")^٥.

- أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة للوصول إلى جملة من الأهداف منها :

- أولاً :** لفت الانتباه وشحن الهمم بأهمية تطوير ورقي الفرد والمجتمع والأمة.
- ثانياً :** إراز الصورة المشرقة للدين الإسلامي كمنهج حياة صالح لكل زمان ومكان.
- ثالثاً :** تقديم رؤية واضحة حول المقومات الأساسية المهمة في رقي المجتمعات.
- رابعاً :** وضع بعض منطلقات وأسس واقعية معينة على تطوير ورقي الأمة.

(٥) (الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ج ١، ص ٢٧٧).

- مصطلحات الدراسة

جاء تعريف (الأمة) في معاجم اللغة العربية على عدة معان، من ذلك :

الأول : (الأمة) تعني : الجماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد، وتجمعهم صفات موروثة، ومصالح وأمانى واحدة، أو يجمعهم أمر واحد من دين، أو مكان، أو زمان.

الثاني : (الأمة) تعني : الرجل الجامع لخصال الخير، قال الله تعالى : [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]^٦

الثالث : (الأمة) تعني : الدين والطريقة، قال الله تعالى : [إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ]^٧

الرابع : (الأمة) تعني : الحين والمدة، قال الله تعالى : [وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحِسُهُ]^٨ - ^٩

وفي هذه الدراسة أقصد بالأمة : الفرد، والمجتمع، والأمة المسلمة في مجملها، لأن التطور والرقى الذي نتطلع إليه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهؤلاء الثلاثة مجتمعة، وكل واحد منهما يكمل الآخر، فلا يمكن أن يكون تطور الأمة دون الفرد، ودون المرور بالمجتمع، وإذا تطور الفرد تطور المجتمع، وتطورت الأمة تبعاً لذلك.

(٦) (النحل : ١٢٠) .

(٧) (الزعراف : ٢٣) .

(٨) (هود : ٨) .

(٩) (النحر، عمدة وآخرون، المعجم الوسيط، باب المفزة، ج ١، ص ٢١) .



المبحث الثاني

غرس عقيدة التوحيد

بمفهومها الشامل

المبحث الثاني : غرس عقيدة التوحيد بمفهومها الشامل

إن عقيدة التوحيد هي القاعدة، والمنطلق لبقية المقومات التي سيتم ذكرها بإذن الله تعالى تباعاً، وإذا لم ننطلق من هذه القاعدة الأساسية، فسوف نُعرّض كل المقومات التي سنذكرها، وغيرها إلى التصدع، والانهار عاجلاً، أم آجلاً.

إن عقيدة التوحيد قضية مهمة، وأساسية، ومفصلية في حياة المسلمين، بل وفي كل شؤون الحياة بدون استثناء دقها، وجلها، قليلها، وكثيرها، فلا بد أن تُفهم، وتُغرس في الوجدان، والأعماق، فتكون أفعالنا، وأقوالنا مسترشدة بنور التوحيد، ذلك لأن أي خلل، أو نقص في حقيقة التوحيد يضعف علاقتنا بالخالق جل جلاله، وإذا ضعفت هذه العلاقة ضعف المدد الإلهي، وربما حصلت المصائب، والنكبات، والعياذ بالله تعالى.

قال الله تعالى : ١ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ النَّامُوسُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ١، ومن كَمَلْ توحيده دون أن يشوبه شائبة من شرك، أو معاصي، وذنوب، تحقق له الأمن التام، والسعادة، والاطمئنان في الدنيا والآخرة.

ويقول السعدي - يرحمه الله - : الذين لم يخلطوا إيمانهم بالمعاصي، والذنوب، لهم الأمن من المخاوف، والعذاب، والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم لا بشرك، ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها، ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال، والشقاء.^{١١}

(١٠) (الأنعام : ٨٢) .

(١١) (السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٦٣) .



إن بعض المسلمين في زماننا يفهم التوحيد في صورة، وزاوية واحدة، أو في قالب واحد، قول دون فعل وتطبيق، كأن يفهم التوحيد على أنه النطق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، أو أن التوحيد خاص بالعبادات دون المعاملات، أو أنه يتعلق بأشياء دون أشياء، وهذه نظرة ضيقة، وقاصرة لمفهوم عقيدة التوحيد الذي يُطلب من الإنسان أن يعلمه، ويفهمه، ويطبقه.

إن التوحيد ببساطة شديدة : هو عبادة الله تعالى وحده، وأن تكون كل الحركات، والسكنات، والأقوال، والأفعال، والمشاعر ظاهرة، وباطنة لله تعالى وحده لا شرك له، وأن نتبرأ من حولنا وقوتنا إلى حول لله تعالى وقوته.

فالتوحيد على هذا الأساس يتعمق، ويتغلغل في كافة شؤون الحياة التعبدية من شعائر الإسلام، وما يتبعها من أصول، وفروع، وفي كافة شؤون الحياة الدنيوية بدون استثناء في : الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، والتعليم، بل وفي كافة العلاقات التي تحكم جنس الإنسان، في أي مكان، وفي أي زمان.

فعلى سبيل المثال : إذا قال إنسان أنا مسلم، وموحد لله تعالى، وهو لا يصلي، فهذا ليس موحداً حقاً، ومن لا يؤدي حقوق والديه، أو زوجه، أو أولاده، أو جيرانه، أو واجباته الوظيفية، فهذا ليس بكامل التوحيد، وكل من قصر في فريضة، أو واجب، أو مهمة، وما شابه ذلك، فلديه خلل كبير في توحيد.

إن عقيدة التوحيد ذات شقين أساسيين لا يمكن الإتيان بواحد دون الآخر، فبهما يكتمل الفهم الصحيح لعقيدة التوحيد، وبهذا الفهم الصحيح يكون التأثير الفاعل لعقيدة التوحيد، فالشق الأول : (لا إله إلا الله)، ومعناها : إخلاص العبادة لله تعالى وحده، والبراءة من عبادة كل ما سواه، وهي متضمنة أيضاً الشهادة بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الشق الثاني، ومعناها : (طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله تعالى إلا بما شرع).

فأقول وببقين جازم أن عقيدة التوحيد بالفهم الصحيح إذا تم تفعيلها في واقع المجتمعات الإسلامية بكل ما تعنيه كلمة التوحيد بشقيها :

(لا إله إلا الله محمد رسول الله) معنى، ومبنى، فهي لوحدها كافية، ووافية،

لِلرُّقْيِ بِالْفَرْدِ الْمُسْلِمِ وَبِالْجَمْعِ الْمُسْلِمِ، وبِالْأَمَّةِ الْمُسْلِمَةِ.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في موقف من أهم، وأعظم المواقف العملية، والتوجيهات الشرعية التي توضح جانباً مشرقاً من عقيدة التوحيد، وهو التعلق بالله تعالى وحده في الاستعانة، والسؤال، والنفع، والضرر، والمدد، والعون، وهذا الموقف نحن بحاجة ماسة إلى تطبيقه في واقعنا اليوم، وغرسه في نفوس المسلمين عموماً كمنطلق لرقى الأمة.

ويتمثل هذا الموقف في الحديث المشهور : " عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف."^{١٢}

إن من المشاكل الكبرى التي يعاني منها أكثر المسلمين اليوم هو تعلقهم بالمخلوقين، وضعف التعلق بالخالق جل جلاله، وهذا واضح، وجلي سواء في الأرزاق، أو في الاستشفاء، أو في قضاء الحوائج، وهذا خلل كبير في عقيدة التوحيد، وقد يفسر بعض الناس هذا التعلق بقولهم : هذا من باب الأخذ بالأسباب، فأقول : إن الأخذ بالأسباب أمر شرعي، ومطلوب، ولكن ما نراه، ونسمعه، يفوق الأخذ بالأسباب المشروعة، فالأسباب يجب أن تكون في حدود المعقول، والمقبول، ولكن أيضاً التعلق المفرط بالأسباب منافي لكمال التوحيد لأن للأسباب حدود معينة، وربما يأخذ الإنسان بالأسباب في موضوع معين، ثم لا يتم، ولا يتحقق هذا الموضوع، فالأمر لله تعالى من قبل، ومن بعد.

(١٢) (الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم : ٢٥١٦)، (أحمد، المسند، مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم : ٢٦٦٩)،

وصححه الألباني في تعليقه لسنن الترمذي .



وعلى سبيل المثال : فمن أكثر قضايا الناس حساسية، وأهمية، قضية الرزق، وقد تكفل الله تعالى به، فقال تعالى : 1 وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُ لِحَقِّ مِثْلِ مَا أَنْكُمْ تُنْطِقُونَ^{١٣} ، وقال تعالى : 1 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ^{١٤}.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تستبطئوا الرزق، فإنه لن يموت العبد حتى يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب : أخذ الحلال، وترك الحرام "^{١٥}.
فالشاهد هو : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (فأجملوا في الطلب)، ويقول الزرقاني - رحمه الله - : أي : بأن تطلبوه بالطرق الجميلة المحللة بلا كد، ولا حرص، ولا تهافت على الحرام، والشبهات، أو غير مُتَكَبِّين عليه، مشتغلين عن الخالق الرازق به، أو بأن لا تُعَيِّنُوا وقتاً، ولا قَدَرًا لأنه تحكم على الله، أو اطلبوا ما فيه رضا الله لا حظوظ الدنيا، أو لا تستعجلوا الإجابة^{١٦}.

إن سلف الأمة الصالح من الصحابة، والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، عندما فهموا عقيدة التوحيد على حقيقتها، معنى، ومبنى، ظاهراً، وباطناً، تعلموا، وعملوا، واجتهدوا، وبرعوا في كافة مجالات الحياة دون استثناء، ومن الأمثلة الموضحة لفهم السلف الصالح الصحيح لعقيدة التوحيد، ما يلي :
أولاً : قصة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - مع المرتدين.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا

(١٣) (الذاريات ٢٢-٢٣).

(١٤) (الذاريات : ٥٨).

(١٥) (الأحكام، المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، حديث رقم : ٢١٣٤)، (الألباني، السلسلة الصحيحة، ج ٦، ص ٢٠٩).

(١٦) (الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، باب جامع ما جاء في أهل القدر، ج ٤، ص ٣١٣).



بحقه وحسابه على الله، فقال أبو بكر: والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق^{١٧}.

ثانياً: قصة المرأة التي تخلط اللبن بالماء في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم، قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يُعَسِّسُ المدينة إذ أعياء، واتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت لها: يا أمتاه، وما علمت ما كان من عزم أمير المؤمنين اليوم، قالت: وما كان من عزمه يابنية؟ قالت: إنه أمر منادياً فتأدى ألا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأُمها: يا أمتاه ما كنت لأطيعه في المأى وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كل ذلك، فقال يا أسلم: علّم الباب، وأعرف الموضع، ثم مضى في عسسه حتى أصبح، فلما أصبح، قال يا أسلم: امض إلى الموضع فانظر من القائلة؟ ومن المقول لها؟ وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع، فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها وإذا ليس لهم رجل، فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته، فدعا عمر ولده، فجمعهم، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة، فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي، فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت بنتاً، وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز^{١٨}.

(١٧) (مسلم، صحيح مسلم، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم: ١٣٣)، (البخاري، صحيح البخاري، باب قتل من أتى قبول الفراق وما نسبوا إلى الردة، حديث رقم: ٦٩٢٤).

(١٨) (ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج ٢، ص ٢٠٣).



والقصتان السابقتان تتجلى فيهما حقيقة عقيدة التوحيد الصحيحة، بشقيها العلمي، والعملية، والالتزام بهذا المفهوم الصحيح لعقيدة التوحيد فإنه سيكفل للفرد والمجتمع، والأمة المسلمة بإذن الله تعالى السعادة، وتجعل الإنسان في قمة الحضارة، والرقى، ولا يكون لعقيدة التوحيد أثرها المطلوب على الإنسان، أو المجتمع، أو الأمة إذا لم يكن بهذه الصورة التي فهمها السلف الأول.

وربما سائل يسأل السؤال التالي : هناك دول في الشرق، والغرب غير ملتزمة بعقيدة التوحيد، وهي متطورة، ومتقدمة في الكثير من المجالات ؟
ونقول له : صحيح من وجه، وغير صحيح من عدة وجوه، لاشك أن للكون بكل ما فيه قوانين محددة تحكمه، فمن عَرَفَهَا، واجتهد في الأخذ بها سواء المسلم، أو غير المسلم سوف يحصل على النتيجة المطلوبة بإذن الله تعالى.

أما توحيد الله تعالى، فهو نعمة، ومنة من الله سبحانه، أمتن بها على عباده المسلمين لتحصل لهم السعادة، والفلاح في الدنيا، والآخرة، فالقصور ليس في اعتناق عقيدة التوحيد، وإنما القصور في المسلمين لضعفهم، وتقاعسهم عن الأخذ بالسنن الكونية، المعينة على التطور والتقدم، وهي في الحقيقة من لوازم التوحيد وكمالها، كما أن ما يتميز به المسلمون عن غيرهم أنهم ينالون ببركة توحيدهم لله تعالى الأجر والثوبة من الله تعالى على أعمالهم في الدنيا والآخرة.

- منطلقات وأسس مهمة

حتى يؤدي هذا المقوم دوره المأمول في الرقي بالأمة، هناك جملة من المنطلقات الأساسية، منها :
أولاً : إن عقيدة التوحيد مصدرها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ولذلك يكون التزاماً بالحفاظة عليهما، والعناية بهما بكل وسائل الحفظ، والعناية الممكنة.

ومن أهم صور العناية بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة، ما يلي :

- ١- تحكيم القرآن الكريم، والسنة المطهرة في كل شؤون الحياة، صغيرها، وكبيرها، والالتزام بتوجيهاتها.



٢- تقديم مزيد من العناية، والاهتمام بأهل القرآن الكريم الذين هم أهل الله وخاصته، وحفاظ السنة المطهرة، وتكريمهم التكريم اللائق بهم.

٣- إبراز الحفلات، والمسابقات، والندوات، والمؤتمرات، التي تعنى بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة إعلامياً في مختلف وسائل الإعلام، على غرار مسابقات المناشط الرياضية، والحفلات الشعبية، وغيرها، بل أكثر منها.

ثانياً : التأكيد على أن مفهوم عقيدة التوحيد الصحيح تشمل العناية التامة بأركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، وتعريفاتها، وكل الأوامر، وكل النواهي المتضمنة في القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

ثالثاً : الاهتمام والعناية بإنشاء معاهد، ومدارس شرعية تحت إشراف المؤسسات الحكومية، وإسهام المؤسسات الأهلية فيها للمحافظة على غرس مفهوم عقيدة التوحيد كما فهمها السلف الصالح، ونبذ غيرها من المفاهيم الخاطئة.

رابعاً : عقد مؤتمرات، وندوات، واجتماعات، على مستوى المجتمع، وعلى مستوى الأمة، يشترك فيها نخبة من كبار العلماء في العالم الإسلامي، لمناقشة غرس عقيدة التوحيد بمفهومها الصحيح، ونبذ كل المفاهيم، والتصورات الخاطئة.

خامساً : العمل على تنقية المجتمعات الإسلامية مما يشاع بين عامة الناس، من ألفاظ، وعبارات، ومفاهيم كثيرة غير صحيحة تؤثر على الفهم الصحيح للتوحيد، وأهمية إسهام العلماء، وطلبة العلم، والدعاة، والمصلحين، والمربين، في توضيح أخطاء هذه المفاهيم، وبيان البديل الصحيح لها.

سادساً : تبسيط عقيدة التوحيد للناس، وشرحها بأسلوب سهل، ومفهوم، بعيداً عن الدخول في مسائل، ومصطلحات، وتقسيمات، وخلافات العلماء، وطلبة العلم، في بعض الأقوال، وما يراد منها، مما جعل الكثير من الناس لا يعرف المفهوم الصحيح لعقيدة التوحيد، بل إنه يعزف أحياناً عن سماع الدروس، والخطب المتعلقة بها.

سابعاً : تقديم حسن الظن في مسألة العقيدة عند بعض المذاهب، والفرق المعاصرة، وعدم تحميل الألفاظ أكثر مما تحتمل، فلنا بالظواهر، والله يتولى السرائر.

ثامناً : أهمية العودة الصادقة إلى تعليم عقيدة التوحيد، والعناية بها، في المدارس والجامعات، وربطها بكل حياة الناس وشؤونهم.



تاسعاً : قضية التوحيد من القضايا الرئيسية، والحساسية جداً، ويجب تناولها وطرحها بالحكمة، والبصيرة، واختيار الأساليب والوسائل المناسبة لإيصال الرسائل التوحيدية من خلالها.



المبحث الثالث

تربية الفرد ووصوله

إلى كماله البشري



المبحث الثالث : تربية الفرد ووصوله إلى كماله البشري

إن أولى خطوات الرقي بالأمّة بعد توضيح، وترسيخ مفهوم عقيدة التوحيد، هي تربية الفرد، ووصوله إلى كماله البشري، والمقصود بالكمال البشري، هو : ما يمكن تربية الإنسان المسلم عليه عن طريق غرس القيم، والمبادئ السامية، والمعارف، والمهارات، والأخلاق الفاضلة، والعادات، والتقاليد التي لا تخالف شرع الله تعالى، أما الأمور القدريّة، فلا دخل للإنسان فيها لأنها من عند الله تعالى، كاللون، والخلقة، من جمال، وقبح، أو طول، أو قصر، وما شابه.

إن تربية الفرد منطلق، ونواة أساسية في تغيير الأمّة، والرقي بها، فالفرد نواة المجتمع، وبذرة تكوينها، وإن أي تقصير، وخلل في تربية الفرد، وإعداده من مراحله الأولى، سيكون له نتائج عكسية لا عد لها، ولا حصر، سواء على الفرد نفسه، أو على المجتمع، أو الأمّة بأسرها.

الأسباب، في تربية الفرد

وهذا المقوم يشمل جانبين رئيسيين مكملين لبعضهما :

الجانب الأول : يتعلق بالمؤسسات التربوية الرسمية، وغير الرسمية المؤثرة في تربية الفرد. **الجانب الثاني :** يتعلق بالإنسان نفسه، من حيث تعليمها، وثقافتها.

وسوف ألقى الضوء بشيء من الاختصار على كل جانب، وفق الآتي :

الجانب الأول: يتعلق بالمؤسسات التربوية الرسمية، وغير الرسمية المؤثرة في تربية الفرد. لا شك أن الناظر اليوم في المؤسسات التربوية بأنواعها المختلفة : (الأسرة، المدرسة، المسجد، الإعلام، المجتمع، النادي، التعليم الجامعي، التعليم العالي)، يجد فيها شيئاً من الضعف في إعداد الفرد المسلم الإعداد المطلوب الذي يجعله قادراً على إجراء التغيير المطلوب، والرقي بالأمّة إلى المكانة اللاتقة بها بين الأمم اليوم.

وهذا الضعف العام يعود إلى عوامل كثيرة، وسوف ألقى الضوء باختصار على بعض المؤسسات التربوية، وهي :

أولاً : (الأسرة)

إن المتأمل في واقع الأسرة اليوم يلحظ دون عناء أن فيها خللاً كبيراً، وعاجزة في الغالب الأعم عن تربية الفرد التربية الإسلامية المأمولة، لاسيما إذا علمنا على أن مشاكل الطلاق في كثير من المجتمعات الإسلامية قد بلغت حداً مخيفاً، حيث بلغت نسبته إلى أكثر من ٢٥٪ وغالبتها لأسباب تافهة، وهذا يعود إلى قصور في تصحيح مسار الأسرة من بداية تكوينها، ومن أهم عوامل ضعف إعداد الأسرة اليوم، ما يلي :

- ١- ضعف العناية باختيار الزوج، أو الزوجة بالشروط التي جددتها ^(مستجدات) الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ٢- ضعف تثقيف الزوجين بالعلاقة الزوجية، وما يترتب عليها من مهام، ومسؤوليات، وواجبات، وحقوق لكل طرف على الآخر.
- ٣- تقصير الوالدين في تربية أولادهما، وعدم شعورهما بالمسؤولية الكبيرة تجاه أولادهما.
- ٤- ضعف وجود القدوة الحسنة أمام الأولاد داخل المنزل.
- ٥- تدخل وسائل تربية أخرى في تربية الأولاد من خارج الأسرة، وضعف إمكانية السيطرة عليها.

ثانياً : (المدرسة)

إن المدرسة اليوم ليست بأحسن حالاً من وضع الأسرة، فالشكوى مستمرة من ضعف مخرجات المدارس، على الرغم من كثرة عوامل الإصلاح، والتعديل في المناهج الدراسية، وللأسف أن المخرجات مازالت ضعيفة، وهذا يؤكد أن هناك مشكلة كبيرة تحتاج إلى نظر، وتأمل لمعرفة أسبابها الحقيقية، وعدم حل نتائجها فقط، حتى لا نبقي في حلقة مفرغة من الحلول المؤقتة، ولا تزال المشكلة قائمة، ولعل المشكلة تكمن في عدة أسباب، من أهمها :

- ١- ضعف المعايير المناسبة لمعرفة صلاحية من يرغب الالتحاق بمهنة التعليم.



- ٢- ضعف إعداد المعلم الإعداد الذي يجعله قادراً على التأثير في سلوك الطلاب، وللأسف أصبحنا نشاهد معلمين، ونسمع عن معلمات في أوضاع، وأشكال، وسلوكيات غير حسنة.
- ٣- ضعف الإمكانيات، والبيئة التعليمية، وفي مقدمتها المباني المدرسية الصالحة للتعليم.
- ٤- ضعف تعاون الأسرة مع المدرسة بالشكل المؤثر في إصلاح الطلاب.

ثالثاً: (المسجد)

إن هذه المؤسسة التربوية العظيمة في المجتمع المسلم أيضاً هي تعاني من ضعف واضح في الدور المطلوب، والمتوقع أن تقوم به، وقد أفردت لموضوع المسجد، وتطوير دور الإمام والخطيب مقوم لوحده ضمن مقومات هذه الدارسة لشدة أهميته، وعلاقة الناس به بشكل يومي.^{١٩}

رابعاً: (المجتمع)

لقد ضعف دور المجتمع، بل يكاد يكون غائباً هذه الأيام غياباً كبيراً، إلاّ فيما ندر، وقد يكون لضعف دور الأسرة، والمدرسة، والمسجد قبله تأثير بشكل مباشر في ضعف دور المجتمع، ولعل بإصلاح هذه المؤسسات التربوية المهمة يعود دور المجتمع التربوي بإذن الله تعالى.

خامساً: (الإعلام)

الإعلام وما أدراك ما الإعلام، فهو حديث الساعة هذه الأيام، ويحتل التلفاز المكانة الأولى في المتابعة، والتأثير، والاهتمام، ومما زاد الأمر صعوبة توسع القنوات الفضائية، وانتشارها بشكل كبير جداً.

وعلى الرغم من وجود بعض القنوات الإسلامية الهادفة، والتي لها دورها الجيد والمؤثر في إصلاح الفرد، والرقي به، إلا أن القنوات الفضائية التي تعج بها الأقمار



الصناعية العربية، والأجنبية تبث الفث، والسمن، وتخلط الجميل بالقبيح على كافة أرجاء العالم العربي، والإسلامي، مما يتطلب تدخل المؤسسات التربوية في المجتمع بشكل فاعل للوقاية من هذه القنوات بالموضوعية، والحكمة.

وأمام هذا الضعف الكبير في أهم المؤسسات التربوية التي يعول عليها في إصلاح الفرد، وتهذيبه، وتربيته، نجدد الأمل، والتفاؤل في إمكانية إعادة دور هذه المؤسسات بشكل أكثر فاعلية بإذن الله تعالى، إذا صدقت النيات، وتوحدت الجهود، لأن الإمكانيات البشرية، والمادية، ولله الحمد في المجتمعات الإسلامية متوافرة بشكل جيد وكبير.

إن التربية الإسلامية بما تحويه من مصادر ربانية متميزة، متمثلة في: القرآن الكريم، والسنة المطهرة تحوي منهجاً فريداً في إعداد الفرد بمختلف مراحل حياته، وهي قادرة بإذن الله تعالى على تغيير سلوكياته، وجعله فرداً إيجابياً، مؤثراً، شريطة أن تقوم المؤسسات التربوية المختلفة بدورها المطلوب منها في إعداد الفرد.

- منطلقات وأسس مهمة للجانب الأول

من المنطلقات المهمة في إعادة تفعيل المؤسسات التربوية، في تربية الفرد، ما يلي :
أولاً : العناية والاهتمام بالأسرة بشكل أكبر في الجوانب الآتية :

١- إنشاء مكاتب للأسرة في الأحياء الرئيسية، تهتم بتنقيفها، وتوجيهها، وحل مشاكلها، على أن يتوافر لها المتخصصون في التربية، وعلم النفس والأسرة، وكل الإمكانيات التي تجعلها تقوم بدورها على أفضل وجه.

٢- ضرورة تقديم دورات توجيهية، توضح واجبات، ومسؤوليات الزوج، والزوجة، للشباب الراغبين في الزواج، ويكون ذلك شرط أساس لإتمام عملية عقد النكاح.

٣- قيام الدعاة، والمصلحين، والمربين، والإعلام بوسائله المختلفة، بالتوجيه والإرشاد المستمر في توضيح أهمية العلاقة الزوجية، وقيام الزوجان بمسؤولياتهما فيما بينهما، وتجاه أولادهما.

٤- أهمية تضمين المناهج الدراسية موضوعات مناسبة، وهادفة بأسلوب مشوق، وحكيم، توضح أهمية العلاقة الزوجية، وواجبات الوالدين، ومسؤولياتهما، وتأثير الأسرة بكافة أفرادها في إصلاح المجتمع.

ثانياً : تعد المدرسة، وخصوصاً التعليم العام : (الروضة، الابتدائي، المتوسط، الثانوي)، المحور الأساس في تربية الفرد، ولا بد من العناية، والاهتمام بالآتي :

١- وضع معايير علمية، واضحة، ومحددة لاختيار المعلمين، حتى يُختار لمهنة التعليم ممن يتمتع بمواصفات، ومميزات محددة، أهمها : الرغبة في مهنة التعليم، وصدقه، وأمانته، وحسن أخلاقه، ونضجه الفكري والثقافي.

٢- العناية والاهتمام بإنشاء الكليات المتخصصة لتخريج المعلمين مع توفير كل الإمكانيات المادية، والبشرية المتطورة، التي تساعد على إخراج المعلم القادر على التعليم، والتربية، والتأثير الإيجابي.

٣- الاستفادة القصوى من أسلوب وطريقة الدول المتقدمة في مراحل التعليم العام، في : المناهج، والأساليب، والوسائل، وغير ذلك، مما يكون معيناً في تطوير الفرد، وجودة تعليمه، فالحكمة ضالة المؤمن.

٤- أهمية الإشراف، والمتابعة الدقيقة، وإجراء الدراسات العلمية على كافة أركان العملية التعليمية : (الطالب، والمعلم، والمنهج الدراسي)، والعمل على تلافي السلبيات أولاً بأول، وتعزيز، وتطوير الإيجابيات.

٥- أهمية التواصل المستمر، والإيجابي بين المدرسة، والأسرة، لمحاولة علاج بعض المشاكل، وتلافي بعض السلبيات التي قد تظهر من الطلاب.

ثالثاً : الإعلام بوسائله المختلفة : المرئية، والمسموعة، والمقروءة، يحتاج إلى الآتي :



١- ضرورة إنشاء هيئة، أو جمعية، تضم نخبة متميزة من المختصين في الإعلام، وطلاب العلم الشرعي، على مستوى المجتمع الواحد، والمجتمعات الإسلامية الأخرى، تهدف إلى : وضع الضوابط، والأطر، التي تحكم، وتنظم ما يعرض، وما يبيث عبر وسائل الإعلام، وفق توجيهات الشريعة الإسلامية، ومتطلبات الواقع المعاصر في وسيطة واعتدال، لا غلو ولا تقصير.

٢- ضرورة تنقيف المجتمعات الإسلامية، وتقوية الرقابة، والوازع الديني في نفوس المسلمين عموماً، والناشئة، والشباب خصوصاً، حتى تتكون لديهم الحصانة التي يعرفون من خلالها الفث من السمين، والصالح من الطالح.

- الجانب الثاني : يتعلق بالإنسان نفسه من حيث تعليمها وتنقيفها.

من المؤسف حقاً أنه يشاع، بل يرسخ في الأذهان (أن أمة اقرأ لا تقرأ)، ولعل هذه المقولة، كما قيل : إنها أخذت من العبارة التي نُسبت إلى موسى دايان رئيس وزراء إسرائيل السابق : (أن العرب أمة لا تقرأ).

ولكن للأسف أيضاً أن هذه المقولة يؤكدتها الواقع، كما تؤكدتها الدراسات التي تصدر من الجهات المختصة بالعلوم والثقافة، وفي تقرير نُسب لليونسكو عن القراءة في الوطن العربي جاء فيه : إن المواطن العربي يقرأ (٦) دقائق في السنة، وفي الوطن العربي يصدر كتاب لكل (٣٥٠) ألف مواطن؛ بينما يصدر كتاب لكل (١٥) ألف مواطن في أوروبا، كما أن كل دور النشر العربية تستوعب من الورق ما تستهلكه دار نشر فرنسية واحدة، كما كشفت إحصائيات أن الإنسان الأوروبي يقرأ بمعدل (٢٥) كتاباً في السنة، والإسرائيلي يقرأ بمعدل (٤٠) كتاباً في السنة، وأما العربي فإنّ (٨٠) شخصاً يقرؤون كتاباً واحداً في السنة.^{٢٠}



إن المقارنة بين وضع القراءة في العالم الإسلامي، وبين الدول الأوربية المتقدمة، وبين أعداد الكتب المطبوعة، والمترجمة من اللغات الأجنبية الأخرى تشير إلى نسب توضح بوضوحاً شاسعاً يؤكد ضرورة معالجة هذا الوضع.

إن ما نشاهده اليوم أن الكثير بل الغالبية لا يهتم بالقراءة، وتعليم نفسه، أو تثقيفها، بل تشاهد، وتسمع العجب العجائب من أناس لا يعرفون أبسط المعلومات الشرعية^{٢١}، أو المعلومات العامة التي تخص مجتمعه، أو أمته.

وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى العزوف عن القراءة، وعدم الرغبة في الإطلاع، والاستزادة من العلم، وكأنني بأناس لهم سنوات طويلة، وهو لم يشتر كتاباً واحداً، أو يقرأ مجلة نافعة مفيدة، وإذا قرأ فإنه يقرأ كتباً في مجالات علمها لا ينفع، وجهلها لا يضر.

وهناك دراسات تؤكد أن نحو ٧٠٪ مما يتعلمه المرء يأتي عن طريق القراءة، والعقل البشري إذا لم يتغذى بالعلم، وبالمعرفة بشكل مستمر، فإنه يتوقف عند حد معين، فكلما تعلم، وقرأ الإنسان نما، وتوسع عقله، وكلما ابتعد، وحجب نفسه عن التعليم، والقراءة بقي العقل متوقفاً، وربما جامداً في مكانه.

وقد تلاحظ ذلك بشكل واضح في الكثير من الناس الذين توقفوا عن طلب العلم، والتزود المعرفي، فإنهم بقوا على معرفتهم السابقة لا تطوير، ولا تجديد على عكس الإنسان الذي يسعى إلى الإطلاع، والمعرفة بشكل يومي، وفي علوم، ومعارف شتى، تجده منفتحاً، وذو رأي، وحكمة، وطرح جميل، ومفيد.

ومما ورد عن سعيد بن جبير - يرحمه الله - قوله : " لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك التعلم، وظن أنه قد استغنى، واكتفى بما عنده، فهو أجهل ما يكون

٢٢ "



فا لعلم بحر لا ساحل له، والاستمرار في طلب العلم لا حد له، وروى ابن عبد البر - يرحمه الله - أنه قيل لابن المبارك - يرحمه الله - : إلى متى تطلب العلم ؟ قال : حتى الممات إن شاء الله تعالى، وقال : لعل الكلمة التي تتفني لم أكتبها بعد.^{٢٣}

إن القراءة دليل على تحضر الأمم، وتطورها الفكري، والثقافي، والاجتماعي، والفردى، ومما يميز الدول المتقدمة اليوم أن الفرد يحرص على الاستزادة من العلم، والمعرفة بشكل مستمر من خلال الالتحاق بصروح العلم، والثقافة المنتشرة في شتى مناحي البلاد، فضلاً عن حرصه الكبير على القراءة النافعة بشكل مستمر، وهذا ملاحظ، فتشاهد الكثير منهم لا تخلو يديه من كتاب، أو مجلة نافعة، في الطائرة، أو في القطار، أو في الحافلات، أو في أماكن الانتظار.

إن الفرد المسلم العاقل عليه مسؤولية كبيرة تفرضها عليه النصوص الشرعية الكثيرة جداً التي تُعلي من شأن العلم، وطلابه، ومن حق مجتمعه، وأمته، أن يسعى في تهذيب، وإصلاح نفسه بكل الوسائل الممكنة، من العناية باستقامته، وبتعليمه، وثقافته، وزيادة فعاليته، وإيجابيته، وحسن علاقاته بالآخرين. منطلقات وأسس مهمة للجانب الثاني

هناك جملة من المنطلقات التي يمكن أن تساعد على تطوير الفرد، وزيادة فاعليته، ومن أهمها :

١- استشعار النصوص الشرعية التي تؤكد على أهمية العلم، وطالب العلم، والأجور العظيمة، والفضائل العظيمة، التي سيحصل عليها من اهتمامه بأي علم يفيد به الإسلام، والمسلمين .

٢- الحرص والاهتمام على القراءة النافعة المفيدة، وأن يسعى بشكل مستمر على ذلك، ويجتهد في قراءة كتاب كل شهر على الأقل.

(٢٣) (القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، باب الحظ على استدامة الطلب والعصر على الأثر والنصب، ص : ١٩٢).



- ٣- الحرص على الالتحاق بالدورات العلمية، وبمجالس العلم، ودروس العلماء في العلوم الشرعية، وغيرها، والعناية بسماع المحاضرات، والدروس في مختلف العلوم عن طريق وسائل التقنية الحديثة، وهي كثيرة، ومتنوعة، وسهلة الوصول إليها، ولا عذر لأحد في ذلك.
- ٤- الحرص على الالتحاق بالدورات التي تُعنى بالتممية البشرية، وتطوير القدرات، وزيادة التفاعل الإيجابي مع الآخرين.
- ٥- العناية التامة بإنشاء المكتبات العامة في كافة الأحياء، والأماكن العامة، وتسهيل كل السبل المعينة للتشجيع على القراءة.
- ٦- على الأسرة مسؤولية كبيرة في تحبيب النشء منذ نعومة أظفارهم في القراءة النافعة على أن يكون الوالدان قدوة حسنة في ذلك.
- ٧- ابتكار وسائل جديدة للترغيب في القراءة، ومن ذلك : عمل ملخصات لبعض الكتب المفيدة، التوزيع المجاني، إعداد مسابقات في بعض الكتب المفيدة، عقد ندوات شهرية، أو أسبوعية لعرض ملخصات لبعض الكتب النافعة... الخ



المبحث الرابع

الاهتمام بالعمل الجماعي

بدلاً من الفردية



المبحث الرابع : الاهتمام بالعمل الجماعي بدلاً من الفردية

لقد ارتبط مفهوم العمل الجماعي لدى بعض الناس أنه العمل الذي يتعلق بتكوين الأحزاب، والجماعات الإسلامية، وهذا ليس مقصودنا البتة، وإنما القصد بالعمل الجماعي : هو الأسلوب الذي يعمل بروح الفريق الواحد، أو الأسرة الواحدة، وهو ما تتنادى به الإدارة الحديثة اليوم، من أجل تطوير العمل في شتى مجالاته، وتحقيق التقدم للمجتمعات، والأمم.

إن الإسلام بحمد الله تعالى قبل أكثر من أربعة عشر قرناً نادى بمفهوم العمل الجماعي بشكل عام، وشامل، وفي كافة المستويات من أدناها إلى أعلاها، وأكد عليه، قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^{٢٤}، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن الله عز وجل يُدْخِلُ بالسَّهْمِ الواحد ثلاثة نَفَرٍ الْجَنَّةَ : صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي عَمَلِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَالْمُعِدَّ بِهِ"^{٢٥}.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " يد الله مع الجماعة"^{٢٦}، وعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه"^{٢٧}، وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"^{٢٨}.

إن التوجيهات الشرعية التي تحث على العمل الجماعي كثيرة جداً في القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، وتطبيقاتها العملية واضحة في الكثير من مواضع

(٢٤) (المائدة : ٢) .

(٢٥) (أبو داود، سنن أبي داود، باب الرمي، حديث رقم : ١٠٦٢)، (أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عقبة بن عامر الجهني،

حديث رقم : ١٧٣٣٥) .

(٢٦) (الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم : ٢١٦٦)، (وصححه الألباني في تعليقه) .

(٢٧) (البخاري، صحيح البخاري، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، حديث رقم : ٤٨١) .

(٢٨) (أبو داود، سنن أبي داود، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، حديث رقم : ٢٦١٠)، (وصححه الألباني في تعليقه) .



السيرة النبوية، على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم، كبناء مسجده صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وحفر الخندق في غزوة الأحزاب، بل إن شعائر الإسلام، لو تأملتها لوجدتها قائمة على التعاون، والعمل الجماعي، وفي مقدمتها أعظم شعيرة، وهي: الصلاة.

إن العمل الجماعي يحصل من خلاله الخير، والبركة من الله تعالى، لأن: "يد الله مع الجماعة"، وإذا كان الله سبحانه وتعالى مع الجماعة، فهذه معية خاصة يحصل بها كل أنواع الخير والبركات، من: تآلف القلوب، ومساعدة الآخرين، وتوحيد الجهود، وتوحيد الكلمة، وإثراء العمل، وتطويره، وتتميته، شريطة الالتزام بالأخلاق، والقيم الإسلامية السامية، من: إخلاص، وأمانة، وصدق، وإتقان.

إن العمل الجماعي، وبروح الفريق الواحد من أساسيات النجاح، والتقدم في مجالات الحياة كلها، ذلك لأن الفردية غالباً ما تغرس روح الأنانية، وحب الذات، وحب الظهور على الآخرين، وفوائدها، ونتائجها محدودة، بل إن لها سلبيات، في مقدمتها: الحرص على تقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة، وقد عرفت الدول المتقدمة مدى أهمية العمل الجماعي، وتأثيره الإيجابي في رفع الإنتاجية، والابتكار، والاختراع، والتطور، فأصبح سمة من سمات عمل المنظمات والشركات لديها.

وقد عزا المختصون في الإدارة بأن كثيراً من الاختراعات الحديثة، والإبداعات، والمبتكرات اليوم يرجع الفضل فيها لله تعالى أولاً، ثم لأسلوب العمل الجماعي، فعلى سبيل المثال: الكمبيوتر ابتكار جماعي، والأقمار الصناعية عمل جماعي، ومحطات ومراكب الفضاء عمل جماعي، بل يقال: إن العمل الجماعي الآن يتجه نحو العالمية من خلال التعاون الدولي لتطوير بعض الأعمال للاستفادة من الخبرات المشتركة بين الدول.



وإذا تأملت سر تطور اليابان فتجد أن أسلوب العمل الجماعي سمة بارزة فيه، فلما سُئِلَ (دوكو) أبو الاقتصاد الياباني عن عبقرية الشعب الياباني، قال: إن المصانع ليست إلا أسرة، إنها حياة العائلة الواحدة، بكل ما في كلمة العائلة من معنى ريفي قديم، فالمصنع عائلة مرتبطة تماماً، وعمال المصنع قد ولدوا ليموتوا في داخله، وإذا ترك الواحد منهم هذا المصنع، فإنه لن يذهب مطلقاً إلى مصنع منافس، وإذا حاول أحد عمال هذه المصانع، أن يذهب إلى مصنع منافس، فإن المصنع لا يقبله لأن العائلات أسرار، والعائلات اليابانية تتنافس، ولكنها لا تتصارع، إنما تتفوق على المصانع الأوروبية، والأمريكية، من أجل رفاهية وعظم الشعب الياباني كله^{٢٩}.

كلمات في غاية الجمال والروعة، والكلمة الحكمة ضالة المؤمن، وسوف أشير إلى أهم محاورها التي مجتمعاتنا الإسلامية بحاجة ماسة لها، وهي:

المحور الأول: احترام العمل الجماعي.

المحور الثاني: التنافس الشريف بين المصانع، وليس التصارع.

المحور الثالث: الحرص على التفوق لمنافسة الدول المتقدمة الأوروبية والأمريكية.

المحور الرابع: الحب والتفاني العظيم لبلادهم ورفاهية شعبهم.

فهل عرفت - أخي المسلم - سر تقدم اليابان وتطوره ورقيه؟

إن كثيراً من المجتمعات الإسلامية بعدم انتهاج أسلوب العمل الجماعي سيطرت عليها الفردية، والأنانية، والتي هي من معوقات التطور، والرقى المأمول، على العكس من المجتمعات المتقدمة التي اعتبرت أسلوب العمل الجماعي، أسلوب حياة في شتى المناحي: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية، ولا نبالغ إذا قلنا إن



أسلوب العمل الجماعي يتم غرسه، وتعزيزه، في كافة مراحل التعليم، وخصوصاً التعليم العام من خلال أساليب، ووسائل التعلم المتنوعة لديهم .

إن الإشكالية التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم، هي : صعوبة أن يتم تغيير ما تم ترسيخه واستقر في الأذهان من أسلوب العمل الفردي، إلى أسلوب العمل الجماعي بين عشية وضحاها، ذلك لأن هذا المفهوم الجديد في تطبيقه يحتاج إلى تألف القلوب، والتجانس بين الأفراد، وتبادل الثقة، والاحترام بينهم، فلا شك أن هذه عملية ليست سهلة تحتاج إلى وقت، وجهد كبيرين، ولكن مع صدق النيات، ووجود العزائم، والإصرار تهون المصاعب مهما بلغت.

وفي الحقيقة أنه لم يعد هناك مجال للنقاش، على أن العمل الجماعي خير وأولى من العمل الفردي للرقي بالأمّة، وربما هناك من يقول : إن العمل الجماعي يذوب فيه تميز المتميزين، وإبداع المبدعين، وأقول : هذه نظرة ضيقة جداً، ومفهوم قاصر، غرسه أسلوب العمل الفردي من سنين طويلة، وحينئذ لا بد أن نرقى بأنفسنا، وتكون آمالنا وطموحاتنا أبعد من ذواتنا إذا أردنا أن نتطور ونرقى بمجتمعاتنا وأمتنا.

- منطلقات وأسس مهمة

إن ما يميز به العمل الجماعي اليوم أنه أصبح فناً، ومجالاً من مجالات الإدارة الحديثة، وله طرقه، وأساليبه، ونظمه، ولذلك لا بد من الإشارة إلى بعض النقاط المهمة لتفعيل العمل الجماعي، ومنها :

أولاً : الاستعانة بالمؤسسات، والشركات المتخصصة في التدريب والتطوير في مجال العمل الجماعي، وإدارة الأعمال بأسلوب الفريق الواحد، لعمل دورات تدريبية مكثفة توضح أهمية العمل الجماعي، وخطواته، وكيفية تطبيقه على أرض الواقع، لكافة العاملين في مختلف القطاعات.



ثانياً : على الجهات المعنية بالتربية والتعليم إعداد برامج وأساليب تربوية لتنشئة الأطفال، وتعليمهم مفهوم العمل الجماعي، ونبذ الأنانية، وحب الذات، حتى يرسخ في أذهانهم، ووجدانهم أهمية العمل الجماعي.

ثالثاً : يتميز العمل الجماعي بتبادل النقاش والحوار، ويعني ذلك أن يراعى هذا الجانب في البرامج التعليمية، والثقافية المقدمة للطلاب، بحيث تشتمل على ما يشجع ويثير الحوار، والنقاش ليعتادوا عليه، ويألفوه.

رابعاً : الاهتمام بتوجيه الأسر للعناية بغرس روح العمل الجماعي المشترك بين الأطفال منذ نعومة أظفارهم، ونبذ الأنانية، وحب الذات، والسيطرة على الآخرين.

خامساً : العناية بغرس حب الوطن في نفوس مواطنيه، والتفاني، والتضحية من أجله، وابتكار الوسائل والأساليب الشرعية الموصلة لذلك.



المبحث الخامس

العناية بالإتقان والجودة في كل شؤون

حياتنا



المبحث الخامس : العناية بالإتقان والجودة في كل شؤون حياتنا

إن الإتقان والجودة في أداء الأعمال صفة نبيلة، وغاية سامية يقوم بها من حسنت أخلاقه، وسمت نفسه، واحترم ذاته، وهذه الصفة في المقابل تجعل المتصف بها مكان التقدير، والاحترام سواء المتصف بها إنسان، أو مجتمع، أو أمة.

والإتقان في كل شيء صفة من صفات الرحمن جل جلاله، قال تعالى : [وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمْدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ] ^{٢١} ، أي أحكمه، وقال قتادة : معناه أحسن كل شيء، والإتقان الإحكام، يقال : رجل تقن، أي : حاذق بالأشياء. ^{٢٢}

وفي هذه الآية الكريمة إشارة من الله تعالى على أهمية الإتقان والإحكام، وقد وردت في السنة الشريف أحداث كثيرة تؤكد على مفهوم الإتقان، فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ " ^{٢٣}

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا، وكذا، ولكن قل : قَدَّرَ اللَّهُ وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان " ^{٢٤}

وهذا الحديث الشريف يؤكد على ارتباط القوة بالإيمان في كل ما ينفع، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، وعدم التكاسل، وحسن التوكل، والاستعانة بالله تعالى، وهذه كلها من آليات، وأسس إتقان العمل وجودته.

ويتضح مما ذكر آنفاً، إن الإتقان والجودة في كل شيء خلق إسلامي رفيع اتصف به الخالق جل جلاله في إحكامه وإتقانه لكل شيء، ودعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة، وطبقه واقعاً ملموساً في حياته : في عباداته،

(٣٠) (التلم : ٨٨).

(٣١) (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص ٢٤٤).

(٣٢) (الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم : ٨٩٧).

(٣٣) (مسلم، صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله ونفويض المقادير لله، حديث رقم : ٧٩).



ومعاملاته، وكل أعماله، وأقواله، وحركاته، وسكناته صلى الله عليه وسلم يتجلى فيها خلق الإتيان.

ومن مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليمه لأمته أهمية الإتيان في العمل، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال : " ما هذا يا صاحب الطعام ؟ " قال : أصابته السماء يا رسول الله، قال : " أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني " ^{٣٤}.

وفي هذا الحديث الشريف توجيه نبوي كريم في غاية الأهمية لأمته بالإتيان في العمل، بعدم الغش في كل عمل يقوم به المسلم، سواء رآه الناس أم لم يروه. وهذه المعاملة عامة لجميع الناس، لأن لفظة (غَش) جاءت عامة فتشمل كل إنسان مسلم، أو غير مسلم، ويقابل كلمة الإتيان كلمة الإحسان التي وردت في حديث جبريل - عليه السلام - المشهور، وهو: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ^{٣٥}.

إن المشاهد اليوم لأكثر المجتمعات الإسلامية يلحظ ضعف الإتيان والجودة في أغلب الأعمال، فمن ذلك على سبيل المثال : عدم الاهتمام بالمحافظة على ساعات العمل، بالتأخير، أو الخروج، وتركه دون أي مبرر، أو التقصير في أدائه بالجودة المطلوبة، حتى أصبح ذلك سمة لكثير من المجتمعات الإسلامية، وقد سمعنا أن بعض الشركات، والمؤسسات الإسلامية تحرص على تشغيل موظفين من خارج البلاد الإسلامية لأفضليتهم في أداء أعمالهم، مع محافظتهم واهتمامهم بساعات العمل. ومن الأمثلة أيضاً على عدم الإتيان والجودة : عدم النظافة في المطاعم والمأكولات، مقارنة بالمطاعم، والمأكولات الغربية، وكذلك ضعف الكثير من الصناعات، وإنشاء المباني، وكما سمعنا، وقرأنا عن مبان لم يكتمل بناؤها، أو اكتملت، ثم بعد فترة وجيزة تصدعت، وتهدمت، أضف إلى ذلك صور الغش، أو التزوير، أو أي نوع من أنواع الفساد الإداري.



ومما يحز في النفس أنك ترى بعض المسلمين المدعين للالتزام، والتمسك الظاهري بالسنة غير مكترث بالإتقان والجودة في عمله، فتراهم مقصراً في أداء عمله، ومقصراً في الاهتمام والعناية بأولاده، ومقصراً في حقوق والديه، إلا في حق يخصه، فتراهم يضرب له كل حيلة من قول وفعل، حتى يناله، وهؤلاء ضررهم كبير على الأمة، ويحتاجون إلى إعادة توجيه، وإرشاد لتقويم سلوكهم.

وقد ترى أحياناً بصيص أمل في بعض المجالات الفردية، أو الجماعية تهتم بالجودة والإتقان، كمنتج معين لبعض الشركات، أو تقديم خدمات معينة، ولكن تفاجأ للأسف الشديد بعد فترة قصيرة، بعدم الاستمرار في هذه الجودة بسبب ظروف مادية، أو ظروف إدارية، وكما يقال الوصول إلى القمة سهل، ولكن الأصعب المحافظة عليها، وقد تلحظ هذا في مجال الرياضة، فتشاهد بعض اللاعبين يصل الواحد منهم إلى القمة في بداية حياته، ولكن ما يلبث أن يتوارى بسبب عدم المحافظة، والاعتناء بما وصل إليه !!

إن الإتقان والجودة، اليوم ينصرف بالكلية، ويتجه نحو الدول المتقدمة في أوروبا، وأمريكا، وبعض دول آسيا، كاليابان، وكوريا، وبعض المنتجات الصينية، بل أن بعض المنتجات إذا عرفت أنها من دول معينة كألمانيا، أو إنجلترا، أو اليابان، فإنك تقوم بشرائها دون تدقيق، حتى وإن زادت تكلفتها لأن النفوس في العادة تميل إلى تقبل الأشياء الطيبة، والجيدة، وتتفر من الأشياء الرديئة.

وقد سبق أن قرأت نصاً في مجلة البيان، يقول : إن " العقيدة البروتستانتية تحث على الإخلاص في العمل، والحث على الإتقان فيه، حتى صارت الصناعة الغربية آية في الإتقان والجودة.^{٣٦}

ونحن المسلمين اليوم نمتلك أفضل عقيدة، وأفضل تشريع، وفيهما كل الخير والفلاح للبشرية، وتوجيهاتهما السامية تحض على العمل الجاد، والإتقان في كل الأشياء، ولذلك يجب علينا أن نعيد حساباتنا، ونرتب أوراقنا من جديد في إعادة الثقة في نفوس شعوبنا، ونرسم الخطط، والاستراتيجيات، ونبحث بشكل دقيق عن



الأسباب الحقيقية الكامنة وراء ضعف الإلتقان والجودة في أعمالنا، لتكون

انطلاقاً بإذن الله تعالى مدروسة، ومتمقنة.

إن هذا التطلع والأمل ليس بعيد المنال، لأن الله تعالى جعل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم الخيرية، ومجتمعاتنا الإسلامية بحمد الله تعالى زاخرة بكل الموارد المادية، والبشرية التي تجعلها بإذن الله تعالى قادرة على المنافسة في التقدم، والرقى، قال الله تعالى: **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ٣٧.

وهذه الآية عجيبة، ومعجزة ربانية تحتاج إلى تأمل، ونظر، وتطبيق !! يقول السعدي - رحمه الله - : هذا من وعود الله تعالى الصادقة، فإنه وَعَدَ من قام بالإيمان، والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يُمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان، والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار، والمنافقين في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان، والعمل الصالح. ٣٨.

إنني أتمنى وأدعو الله تعالى أن يحرك قلوب المسلمين، فقلوب العباد بين أصبعي الرحمن سبحانه وتعالى يقلبها كيف يشاء، بأن تهض أمة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم من غفوتها، وتصبح أمتة هي الأمة التي توصف بكل الصفات الحسنة، والخصال الحميدة التي دعا إليها ديننا الحنيف، ومنها الجودة والإتقان للصناعات والأعمال، حتى يصبح شعاراً بارزاً، ومعروفاً يتبادر إلى كل الأذهان في الشرق والغرب، وسائر أقطار الأرض كلها بأن هذا المنتج، وهذا العمل، وهذا الاختراع،

(٣٧) (النور : ٥٥).

(٣٨) (السعدي، تيسر الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٥٧).



وهذه الخبرات والأفكار مصدرها بلاد الإسلام، وليس ذلك على الله تعالى بعزيز، فهو القادر، والفعال لما يريد.

- منطلقات وأسس مهمة

إن مفهوم الإتقان والجودة يحتاج إلى جهود، وآليات حتى يتم تفعيله في المجتمعات الإسلامية، ومن المنطلقات المناسبة لذلك، ما يلي :

أولاً : غرس تقوى الله تعالى في نفوس المسلمين، والخوف من عقابه، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة مع المسلمين، وغير المسلمين، فقد وعد الله تعالى من آمن به، وعمل صالحاً، بالاستخلاف، والتمكين في الأرض.

ثانياً : العناية التامة بالتنشئة منذ الصغر، فتكون للأسرة، والمدرسة، دور مهم للغاية في تربية، وتدريب الأطفال على إتقان وجودة كل شؤونهم، والتأكيد عليهم بأن هذه من أخلاق الإسلام، ومن أخلاق المسلم المتحضر الذي يكون معول بناء في مجتمعه وأمته.

ثالثاً : إن سر تقدم الدول المتقدمة، هو نظام المحاسبة الدقيق لديهم في كل المستويات، وعلى مختلف الأصعدة، حتى الوالدان إذا قصرا - ولم يتقنا - تربية أولادهما، أو تجاوزا الحدود المعروفة في التربية، فيتم محاسبتهم من قبل جهات متخصصة في الدولة. ولذلك يجب أن تكون هناك قوانين، وأنظمة صارمة، وفاعلة لمحاسبة المقصرين، والمفرطين، والمتجاوزين للحدود على كافة الأصعدة، والمستويات، تتولاها هيئات، وأجهزة إدارية ذات كفاءة عالية مستقلة، تقوم بالإشراف والمتابعة، ولها من الصلاحيات ما يمكنها من أداء رسالتها.

رابعاً : القيام بإرسال بعثات معينة وفق خطط مدروسة وممتقنة للنخب المتميزة من شباب المجتمع الإطلاع على ثقافة الدول المتقدمة، في حرصهم على الإتقان والجودة والتميز في شؤونهم.

خامساً : إمكانية استضافة بعض الوفود من الدول المتقدمة لتقديم الخبرات، والأفكار، والمحاضرات، والدروس في أساليب إتقان الأعمال والتميز لديهم.





سادساً : القيام بحملات إعلامية في كافة وسائل الإعلام، وفي كافة المؤسسات التربوية للتأكيد على مفهوم الإتقان والتميز، وتقديم الجوائز التشجيعية المادية والمعنوية.

سابعاً : الحرص على إبراز القدوات الحسنة في المجتمع المسلم، وهم كثر ولله تعالى الحمد، والذين تميزوا بالإتقان والجودة في أعمالهم، وتقديمهم دروس، ومحاضرات لخبراتهم، وأسلوب أعمالهم، ونصائح، وتوجيهات تفيد الأجيال القادمة.

بعض النقاط

من وجهة نظر الألوكة

ألوكة



المبحث السادس

الحرص والاهتمام على

أداء الأمانة



المبحث السادس : الحرص والاهتمام على أداء الأمانة

هناك ملحوظتان مهمتان جدورتان بالذكر حول موضوع الأمانة، وسوف أبدأ بهما كمدخل لموضوع الأمانة، وأهميته، وهما :

أولاً : كثرة الخطب، والدروس، والمواعظ، ولا يكاد يوجد عالم، أو طالب علم، أو خطيب جمعة، أو داعية، أو إمام مسجد، إلا وله حُطْباً عديدة عن الأمانة بشتى صورها.

وهذا حقيقة تدعو المتأمل فيها للدهشة، وربما يتساءل الواحد منا لماذا لم تؤثر كل هذه الخطب، والدروس، والمواعظ في الناس، وما زالت الشكوى قائمة من ضعف الأمانة ؟

والمبادر للذهن مباشرة أن السبب الرئيس يعود بالدرجة الأولى لضعف الوازع الديني عند الكثير من الناس، فلا يوجد لديهم وازع، وخوف من الله تعالى يردعهم عن تقصيرهم في أدائهم للأمانات.

ولذا يقول الشاعر / محمد إقبال - يرحمه الله - :

إذا الإيمان ضاع فلا أمانٌ ولا دنيا لمن لم يحيي ديناً

ثانياً : سمعت أحد الأشخاص العقلاء منذ زمن يقول، وفي قوله جانب كبير من الصحة : إن شيوع تسمية بعض المحلات التجارية باسم : [متجر الأمانة، أو بقالة الأمانة، أو " كافتريا " الأمانة، أو حلاق الأمانة، أو ورشة الأمانة، أو مكتب الأمانة، أو قصاب الأمانة، أو خياط الأمانة ... إلخ]، يدل على ضعف الأمانة بين الناس، ولذلك أشيعت هذه التسمية ليطمئن العملاء، ويشعر الواحد منهم بأن هذه المحلات التجارية تراعي



الأمانة، وغيرهم خلاف ذلك، وهذه تزكية للنفس غير محمودة شرعاً، لقول الله تعالى

:(أَفَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ) ٢٩

إن المشاهد لأحوال الكثير من المجتمعات الإسلامية اليوم يرى الكثير من صور ضياع الأمانة بين الناس في العديد من التعاملات، ولعل ذكر بعض هذه الصور يؤكد خطورة هذه المشكلة، حتى يعمل الجميع على وضع العلاج اللازم للقضاء عليها، ومنها:

أولاً : قد تقوم بإقراض شخص ما ربما صديق، أو قريب مبلغاً من المال، أو أي شيء مادي لأجل مسمى، فإنك تفاجأ عند حلول موعد السداد عدم وفاء هذا الشخص بما اقترضه، وإن أعاد القرض، أو العارية، فسيعيدها بشق الأنفس، وربما عن طريق المحاكم، أو أقسام الشرط، ولشيوع هذه الظاهرة تجد بعض أهل المال، والموسرين اليوم قد عزفوا عن القرض الحسن للآخرين إلا ما رحم ربي.

ثانياً : أصحاب محلات تصليح السيارات، وتلاعب بعضهم في قطع غيار السيارات، وربما طلبوا منك قطعاً جديدة (بدل تالف) حسب زعمهم، والأمر لا يحتاج ذلك، فقط يحتاج لتصليح سهل جداً، فتجدهم يبينوا للعميل أن المشكلة بحجم أكبر حتى يحصلوا على أجرة أعلى.



ثالثاً : أصحاب المطابخ، والمطاعم، وقد سمعنا عن حدوث حالات تسمم بسبب فساد طعامهم، إما بسبب سوء النظافة، أو بسبب طبخ طعام فاسد انتهت صلاحيته، وقد انتقل بعض رواد هذه المطاعم، وربما عائلة بأكملها إلى المستشفى بسبب هذا التسمم.

رابعاً : المستشفيات حدث عنها، ولا حرج؛ بارتفاع الأسعار بشكل غير مبرر من جهة، أو عمل تحاليل معينة، وصرف أدوية من الصيدلية التابعة للمستشفى دون احتياج ضروري، وربما يتم إعداد تقرير لإجراء عملية جراحية لمريض، وهو لا يحتاج لها.

خامساً : العاملون في الكثير من القطاعات العامة، وتقصيرهم الواضح في أعمالهم، إما بعدم الاهتمام بساعات الدوام الرسمي، أو استخدام ممتلكات العمل في مصالحهم الخاصة، أو التقصير الواضح في أداء أعمالهم بتأخيرها، أو عدم الاهتمام في إتقانها، أو تقديم خدمات متميزة لأناس دون غيرهم ... الخ

سادساً : أصحاب المكاتب العقارية، وما يقومون به من زيادة في الأسعار بطريقة غير شرعية، أو التحاليل على الناس، وتزيين بعض المواقع، والمباني، وهي بعكس ذلك، وربما يصل بالبعض إلى تغيير أجرة العقار بزيادة من أجل بيعه ببلغ أكبر، ويحضر شهود زور على ذلك، وكله خداع، وكذب، وتزوير.

سابعاً : قيام بعض الكتاب، والباحثين، والمؤلفين بالسطو على أفكار، ومقالات، وكتب غيرهم، ثم ينسبونها لهم، وكأنها من أعمالهم، وبنات أفكارهم الخاصة، وربما تُقدم للحصول على درجة الماجستير، أو الدكتوراه، أو ترقية علمية، وإذا تم مواجهتهم بذلك أنكروا أشد الإنكار، ونسوا بل تناسوا مقولة السلف الرائعة : (إن

بركة العلم أن يُنسب لأهله).



إن الأمانة خلق إسلامي، سام، ورفيع، تميز به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان قبل بعثته صلى الله عليه وسلم معروفاً بالصادق الأمين، يقال عنه : ذهب الأمين ... وجاء الأمين ... صلى الله عليه وسلم، وقصة اختلاف قريش فيمن سيضع الحجر الأسود في مكانه، ثم اتفاقهم على أن يكون الفیصل في هذه القضية، أول من يدخل البيت الحرام صباح غد، وفي اليوم التالي أول من دخل البيت، كان نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم، فلما رأوه هتفوا : هذا الأمين هذا محمد قد رضينا به.^{٤٠}

وقد عَظُمَ الإسلام من شأن الأمانة أكبر تعظيم، فقد جاءت آيات كريمة، وأحاديث مباركة في غاية الوضوح تؤكد على تأديتها، والمحافظة عليها، ومن ذلك، قول الله تعالى : ١ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا.^{٤١}

وهذا يُعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده، من الصلوات، والزكوات، والكفارات، والنذور، والصيام، وغير ذلك، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض، كالودائع، وغير ذلك، مما ياتمنون به بعضهم على بعض، فأمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة.^{٤٢}



ويقول أبو السعود - يرحمه الله - : إن تصدير الكلام بكلمة التحقيق، وإظهار الاسم الجليل، وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة، وتأكيد وجوب الامتثال به، والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه.^{٤٣}

وجاء في الحديث الشريف عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : ما خطبنا نبي الله صلى الله عليه وسلم، إلا قال : " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له "، وقوله صلى الله عليه وسلم : " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان " .^{٤٤}

إن الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة في هذا الباب كثيرة جداً، وقد اكتفيت بذكر بعضها من باب التذكير، ذلك لأن الأمانة، وأهميتها الكل يعرفها، كما أنه لا أعتقد عاقل يجهل السلبات الخطيرة لضياع الأمانة في المجتمع، فبضياعها تشيع السرقات، ويأكل القوي الضعف، وتنتهك الحرمات، ويقل الأمن بين الناس، وتصبح الحياة شبيهة بحياة الحيوانات التي تعمل ما تشاء، دون حياء، أو أخلاق، أولئك كالأنعام، بل هم أضل.

صور من أداء الأمانة في حياة السلف الصالح

إن للسلف الصالح - يرحمهم الله - صوراً مشرقة، ورائعة في التطبيق الفعلي لخلق الأمانة، ومن ذلك :

(٤٣) (أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٢، ص ١٠٢).

(٤٤) (أحمد، المسند، مسند أنس بن مالك - رضي الله عنه -، حديث رقم ١٢٣٨٣، ج ١٩، ص ٣٧٥)، (والحديث حسن كما حَرَّجَه شعيب الأرنؤوط وآخرون).

(٤٥) (البخاري، صحيح البخاري، باب علامة المنافق، حديث رقم : ٣٣)، (مسلم، صحيح مسلم، آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، حديث رقم : ١٠٧)،



أولاً : إن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - اشترى فرساً بأربعمئة دراهم، فقال لصاحب الفرس: بكم بعته؟ قال: بأربعمئة درهم، قال: أتريد أن تكون خمساً، قال: نعم، قال: وستاً، قال: نعم، قال: وسبعاً، قال: نعم، قال: وثمانياً، قال: نعم، قال: خذ ثمانمئة فإني بايعت رسول الله عليه الصلاة والسلام على النصح لكل مسلم.^{٤٦}

ثانياً : عن أبي السباع - رضي الله عنه - قال: اشتريت ناقة من دار وائلة بن الأسقع، فلما خرجت بها، أدركنا وائلة، وهو يجر رداءه، فقال: يا عبد الله، اشتريت؟ قلت: نعم، قال: هل بين لك ما فيها؟ قلت: وما فيها؟ قال: إنها لسمينة ظاهرة الصحة، قال: فقال: أردت بها سفراً، أم أردت بها لحماً؟ قلت: بل أردت عليها الحج، قال: فإن بخفها نقباً، قال: فقال صاحبها: أصلحك الله، ما تريد إلى هذا تفسد علي؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يحل لأحد يبيع شيئاً ألا يبين ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك ألا يبينه ".^{٤٧}

ثالثاً : كان لأبي حنيفة - يرحمه الله - شريك في التجارة، يقال له بشر، فخرج بشر في تجارته بمصر، فبعث إليه أبو حنيفة سبعين ثوباً من ثياب خَزٍّ، فكتب إليه: إن في الثياب ثوب خَزٍّ معيباً بعلامة كذا، فإذا بعته فبيِّن للمشتري العيب، قال: فباع بشر الثياب كلها، ورجع إلى الكوفة، فقال أبو حنيفة: هل بيئت ذلك العيب الذي في الثوب الخَزِّ؟ فقال: بشر نسيث ذلك العيب، فقال: فتصدق أبو حنيفة بجميع ما أصابه من تلك التجارة الأصل، والفرع جميعاً، قال: وكان نصيبه من ذلك ألف درهم، وقال مالٌ قد دخلت فيه الشبهة، فلا حاجة لي به.^{٤٨}

(٤٦) (ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة، ج ١، ص ١٣٧).

(٤٧) (البيهقي، السنن الكبرى، باب ما جاء في التدليس وكتمان العيب في المبيع، حديث رقم : ١١٠٤٩)، (أحمد، المسند، حديث وائلة بن الأسقع من الشاميين، حديث رقم : ١٦٠١٣).

(٤٨) (الفئاني، إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، ص ٢٤١).



رابعاً : هناك قصة واقعية ذكرها الدكتور محمد رتب النابلسي من علماء سوريا في أحد دروسه لشرح أسماء الله الحسنى، وهي : أن رجلاً تزوج بامرأة سراً عن زوجته الأولى، ثم بعد فترة توفي هذا الرجل، وعلمت المرأة عن زواج زوجها، فقامت بأخذ نصيبها في الميراث، وذهبت إليها لتعطيها إياه، ولكن المفاجأة أن هذه الزوجة الثانية لم تأخذ ما يخصها من الميراث على الرغم من وفاة الزوج، وذلك لأن زوجها طلقها قبل وفاته.

فانظر .. أخي المسلم روعة هاتين المرأتين، وأمانتهما في إيصال الحقوق لأصحابها، على الرغم بإمكان الأولى المماثلة، والتسوية في عدم إعطاء ضررتها من الميراث بأية حجة من الحجج، وبإمكان الزوجة الثانية تخفى طلاقها، وتأخذ نصيبها من ميراث زوجها المتوفى، ولكن هي الأمانة.

منطلقات وأسس مهمة

إن الأمانة ضرورة من ضرورات الحياة، ولا بد من العناية بها حتى تتحقق للمجتمع السعادة، والاطمئنان، ومن أهم المنطلقات لترسيخ الأمانة، ما يلي :

أولاً : ضرورة قيام الأسرة، والمدرسة تحديداً بتنشئة الأطفال على الإيمان، وغرسه في نفوسهم، بل وإرضاعه مع لبن أمهاتهم حتى يتغلغل في أحشائهم، وعروقهم فتكون أقوالهم، وأفعالهم، وسكناتهم، وحركاتهم، بالإيمان تسير، وتتحرك.

ثانياً : تكثيف الأنشطة الدعوية، مع تنويع أساليب ووسائل الدعوة، والحرص على إبراز صور من حياة السلف، وصور من حياة الخلف في محافظتهم للأمانة.

ثالثاً : وضع الضوابط، والعقوبات المناسبة لكل من تثبت الخيانة في حقه، سواء كان عاملاً، أو تاجراً، أو طبيباً، أو مهندساً، أو معلماً، وعدم التهاون في ذلك، فإن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.



رابعاً : أهمية قيام القدوات في المجتمعات الإسلامية بالمحافظة على الأمانة في أقوالهم، وأفعالهم، وفيما كُلفوا به من مهمات، ومسؤوليات حتى يكونوا قدوة حسنة لغيرهم من أفراد المجتمع.

خامساً : قيام وسائط التربية الأخرى : المسجد، والمجتمع، والإعلام بوسائله المختلفة؛ بأدوارهم الأساسية في نشر مفهوم الأمانة، وأهميته، وبيان النتائج السلبية لضياع الأمانة.



المبحث السابع

تواصل القيادة مع مستويات الإدارة

الوسطى والدنيا



المبحث السابع : تواصل القيادة مع مستويات الإدارة الوسطى والدنيا

من أسس الإدارة الناجحة أن يكون هناك تواصل جيد، وواضح بين القيادة، وبين الإدارتين الوسطى، والدنيا، بل يتعدى هذا التواصل إلى الجمهور الخارجي الذي له صلة بخدمات الجهاز الإداري، أما أن تعيش القيادة في أبراجها العاجية، أو في مشاغلها بعيدة عن جو، وحياة الإدارات الأخرى، وحاجات الجمهور، فهذا خلل إداري كبير جداً، وله تأثيره السلبي على جو العمل من جهة، وعلى الإنتاجية، وتطويره من جهة ثانية، وعلى الرقي بالفرد والمجتمع، والأمة من جهة ثالثة.

إن من العيوب، والثغرات التي تعيشها بعض المجتمعات الإسلامية، وتُضعف عجلة التطور، والرقي فيها، أن القائد الإداري لا يعرف في الغالب عن الإدارات الأخرى المعرفة الحقيقية التي تجعله يستطيع أن يوجه، أو أن يصدر قرارات ذات فائدة، ومتناسبة مع ما تعيشه هذه الإدارات، وربما تمر الشهور، بل السنوات، أو حتى تنتهي فترة إدارته، وهو لا يعرف الكثير عن طبيعة الأعمال في الإدارات التابعة له.

وللأسف الشديد لو حصل، وقام هذا القائد بزيارة إلى بعض الإدارات، أو بعض المواقع التابعة له، فإن هذه الزيارة تكون معروفة، ومعلنة إذا لم تكن على المستوى الإعلامي، فهي على المستوى الإداري الداخلي، وبالتالي لا يحصل لها الفائدة المرجوة، لأن ما يظهر له بخلاف الواقع الحقيقي، لأنه تم تلميع ما سيشاهده، فلم ير إلا الحسن، ثم أخذ انطباع بأن كل الأمور على أفضل ما يكون، وهي قد تكون على عكس ذلك تماماً.

وهذا الواقع غير الجيد لا يعني عدم وجود قيادات على مستوى عال من حسن الإدارة، والتفاعل الإيجابي مع الإدارات الأخرى، ومع الجمهور الخارجي، فهناك قيادات لهم صولات، وجولات على كافة الأصعدة سواء على مستوى الإدارات الوسطى، أو الدنيا، أو الأعمال الميدانية التي تقع تحت نطاق مهامهم، ومسؤولياتهم،



وإداراتهم يضرب بها المثل في الانضباط، وحسن الأداء، ورضا الجمهور المستفيد من خدمات جهازهم الإداري.

وقد حددت الشريعة الإسلامية المسؤولية العامة لكل جوانب العمل الإداري على مختلف المستويات، أعلاها، وأوسطها، وأدناها، ففي الحديث الشريف، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رعيته"، قال فسمعت هؤلاء من النبي صلى الله عليه وسلم، وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "والرجل في مال أبيه راع، ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".^{٤٩}

إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" توجيه عام لكل من تولى عمل، وكل من أشرف على مجموعة عمال كثروا، أم قلوا، في مختلف المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية، والثقافية، والإعلامية، إلى غير ذلك، فهو مسؤول عنهم مسؤولية مباشرة، وسوف يسأل عن عمله، ويسأل عمن استرعاه الله تعالى، فالواجب حينئذ أن يبذل المسؤول كل جهده في العمل حتى يحقق أعلى درجات الإنتاجية، ويحقق أعلى رضا ممكن، فمتى اجتهد وبذل، فلا يلام المرء بعد اجتهد.

صور من حياة السلف في التواصل الإداري مع الإدارات الأخرى :

لاشك أن هناك صوراً مشرقة بنور الإيمان، والأمانة، ومراعاة المسؤولية أمام الله تعالى، ثم أمام الناس، سطرها سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - ، ومن هذه الصور، ما يلي :

(٤٩) (البخاري، صحيح البخاري، باب العبد راع في مال سيده، حديث رقم : ٢٥٥٨).



أولاً : كان الخليفة الراشد أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وهو خليفة المسلمين يذهب إلى بيت صغير في ضواحي المدينة، فيمكث لديهم مدة، ثم يخرج ويعود إلى المدينة، إنه بيت لامرأة عجوز عمياء، وحولها صبية صغار، وهي لا تعرف أنه خليفة المسلمين، وقد سئلت يوماً عن هذا الرجل الذي يدخل عليها، فقالت : إنه ليرتد علينا حيناً، والله إنني لا أعرفه، وإنه يأتي إلينا فيكنس دارنا، ويطبخ عشاءنا، وينظف قدورنا، ويجلب لنا الماء، ثم يذهب.^{٥٠}

ثانياً : وعن تفقد العمال، ومعرفة أحوالهم، والتأكد من تأديتهم واجباتهم، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما جاءه أهل الكوفة يشتكون من الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أرسل على الفور رجالاً يتأكدون من صحة الشكوى، وقد أورد البخاري في صحيحه : " عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال شكوا أهل الكوفة سعداً إلى عمر - رضي الله عنه - فعزله، واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه، فقال : يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق : أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرج عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين، وأخف في الآخرين، قال : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً، أو رجلاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويشنون معروفاً حتى دخل مسجداً لبني عيس، فقام رجل منهم يقال له : أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، قال : أما إذ نشدتنا، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد، قال

(٥٠) (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج ١، ص ٧٨).



عبد الملك : فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن.^{٥١}

ثالثاً : وهناك قصة مشهورة جداً عن الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومحاسبته لعماله في الأمصار، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : " كنا عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك، قال : وما لك ؟ ، قال: أجزى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت، فلما ترأها الناس، قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا منه عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إليّ يضربني بالسوط، ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين، قال: فوالله ما زاده عمر أن قال له: اجلس، ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: أحدثت حدثاً ؟ أجريت جنابة ؟ ، قال: لا ، قال: فما بال عمر يكتب فيك ؟ ، قال: فقدم على عمر، قال أنس: فوالله إنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو، وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ؟ ، فإذا هو خلف أبيه، قال: أين المصري ؟ ، قال: ها أنا ذا، قال: دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين قال فضربه حتى أثخنه، ثم قال: أحلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضريك إلا بفضل سلطانه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربتي، قال: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ، ثم التفت إلى المصري، فقال: انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إلي.^{٥٢}

رابعاً : كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في ليلة من الليالي وهو يطوف في المدينة : سمع امرأة في خيمة، وهي في النفاس، فسمعها تصرخ من ألم الولادة فبكى، وذهب إلى بيت المال، وحمل شحماً، وزيتاً، وزيبياً، وبرأ على كتفه، فقال أسلم مولاه: أنا يا أمير المؤمنين! أحمل هذا، قال: لا ، إنك لا تحمل أوزاري يوم القيامة، ودخل

(٥١) (البخاري، صحيح البخاري، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، حديث رقم : ٧٥٥).

(٥٢) (المنجد، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ج ٢ ، ص ٤٧٣).



الخيمة، وصنع الطعام، وقدم العشاء للمرأة، فقالت: والله إنك خير من عمر بن الخطاب.^{٥٣}

خامساً : قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يغدو فقلت : يا أمير المؤمنين، إلى أين ؟ فقال : بعيرند من الصدقة أطلبه، فقلت: لقد ذلت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين، فقال: لا تلمني يا أبا الحسن، فو الذي بعث محمداً بالنبوة لو أن سخلة ذهبت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة إنه لا حرمة لوال ضيع المسلمين.^{٥٤}

سادساً : دخل عطاء بن أبي رباح - يرحمه الله - على عبد الملك بن مروان - يرحمه الله - وهو جالس على سريره، وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة المكرمة في وقت حجه في خلافته، فلما نظر إليه قام إليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، ونصحه، فقال له : اتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم.^{٥٥}

إن المتأمل في هذه الصور الرائعة من حياة السلف الصالح يتضح احتوائها على دروس عملية في قمة أداء القيادة الإدارية لمسؤولياتها، والتواصل الإداري لمختلف المستويات، بل كل موقف منها يقدم نموذجاً فريداً في أداء المسؤولية، والتواصل الإداري، والمهم ليس الافتخار بهذ المواقف فحسب، بل يجب أن نعي هذه الدروس، ونسعى للتخلق بأخلاق هؤلاء النماذج المتميزة والافتداء بهم.

(٥٣) (القربي، دروس للشيخ عائض القرني، معاملة عمر لرجلته، رقم الدرس : ٣٩٨).

(٥٤) (التمسائي، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ص ٢٥٢).

(٥٥) (عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم، ج ٣، ص ٥٣٩).

- منطلقات وأسس مهمة

إن ضعف تفاعل القيادة مع الإدارة الوسطى، والدنيا، والجمهور المستفيد من خدمات الجهاز الإداري خلل وقصور، ولا شك له تأثيره السلبي في رقي المجتمع والأمة، ومن المنطلقات والأسس المناسبة في إعادة التوازن، والتفاعل بين القيادة، والإدارات الأخرى، ما يلي :

أولاً : أهمية استشعار الأمانة والمسؤولية الملقاة على كاهل القائد الإداري، ومن عرف أنه سيسأل عن هذه الأمانة، وسيحاسب على تقصيره بالتأكيد سيعيد حساباته، ويرتب أوراقه، ويؤدي مهامه ببذل كل ما لديه من قدرات، وإمكانات إرضاء لله تعالى أولاً وأخيراً، قال الله تعالى : (وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)^{١٦}

ثانياً : إعادة هيكلة الأجهزة الإدارية العامة على مختلف المستويات الإدارية، وتطويرها بما يتناسب والتطور الإداري الحديث.

ثالثاً : إعداد القيادات الإدارية، وتزويدهم بشكل دوري بما يستجد في علم الإدارة، والقيادة، وكيفية التواصل السليم مع الإدارات، ومع الجمهور.

رابعاً : القضاء على المشكلات، والعوائق التي تعيق حركة القيادات، وفي مقدمتها : كثرة الاجتماعات، والاتصالات الهاتفية، وغير ذلك.

خامساً : تبسيط العمل، ووضع قنوات اتصال سهلة على مختلف المستويات، والقضاء على الروتين، والبيروقراطية التي تعيق التطور، وتقضي على الإبداعات والطموحات.

سادساً : وضع ضوابط واضحة، ومحددة تقيس مستوى الأداء عند جميع القادة في الأجهزة الإدارية بشكل دوري، ويتم محاسبة المقصر دون مجاملة، أو محسوبية.



سابعاً : الاستعانة بخبراء، ومتخصصين في علم الإدارة الحديثة لعمل الدراسات اللازمة
 لوضع الآليات، والأسس التي يتم من خلالها التواصل الإداري الناجح.
ثامناً : إبراز القيادات ذات الأداء المتميز في إداراتها، ومكافأتهم بالحوافز المادية
 والمعنوية، ومن ثم تعميم خبراتهم، وأساليبهم الإدارية، ومشاركتهم في إلقاء بعض
 الدورات التدريبية للقيادات الأخرى.



المبحث الثامن

حل المشكلات بالتركيز على أسبابها

دون نتائجها



المبحث الثامن : حل المشكلات بالتركيز على أسبابها دون نتائجها

تعيش الكثير من المجتمعات الإسلامية اليوم جملة من المشكلات المتنوعة، والمتعددة، وهذا أمر ربما طبيعي لأنه لا يخلو أي مجتمع إنساني من وجود مشكلات، ولكن غير الطبيعي، واللافت للنظر، والعجيب في الأمر أن هذه المشكلات قائمة منذ سنوات، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة هذه المجتمعات، مما أدى إلى تفاقمها، وتشعبها، وكانت سبباً رئيساً من أسباب عدم رقي هذه المجتمعات بخاصة، والأمة بعامه.

وهذه المشكلة تظهر بوضوح تام في الكثير من مناحي الحياة : في قضايا ومشكلات التربية والتعليم، والاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، والإعلام، والصحة، ... الخ ، فلو نظرت مثلاً إلى أوضاع العاملين في القطاع العام، أو نظرت إلى المعلمين، أو المناهج، أو تخطيط المدن، أو المستشفيات لوجدت الكثير من القضايا والمشكلات المزمنة التي لم يتم القضاء عليها رغم توافر كل الإمكانيات المادية، والبشرية.

ولاشك أن هناك جهوداً كبيرة تبذل من بعض المجتمعات الإسلامية لحل هذه المشكلات، ولكن في حقيقة الأمر لا تحل غالبتها بالشكل المطلوب من خلال البحث الدقيق في أسبابها الأمر الذي يسبب هدراً كبيراً في الأموال، والأوقات، والجهود، ولا تحقق الأهداف المأمولة لأن الحلول تكون بصفة مؤقتة، ولفترات محدودة لا تلبث أن تعود مرة أخرى، وربما عودتها تكون أقوى من السابق وأخطر، لأنه لم يتم التمكن من الأسباب الرئيسة التي سببت المشكلة.

وحتى نوضح الفكرة لهذا الموضوع نضرب مثلاً عاماً : فلو أن شخصاً أصيب بمرض معين، وقام بمراجعة الطبيب، ثم قام الطبيب بعمل تشخيص غير دقيق فوصف علاجاً له لم يكن فعالاً بالشكل المطلوب، وعبارة عن مسكنات فقط للمرض، فشفي المرض، أو بدا له أنه شفي، ولكن رواسب المرض مازالت قائمة، فما تلبث أن تعود الفيروسات مرة ثانية، وبصورة أخطر، وبالتالي فإن العلاج السابق أصبح غير

مجدياً، الأمر الذي يحتاج إلى تشخيص جديد، وعلاج أقوى من السابق، ومدة أطول حتى يتم التأكد أن هذه الفيروسات تم القضاء عليها بالكلية.

مثال آخر لبعض المشكلات القائمة في الكثير المجتمعات الإسلامية : انتشار الفساد الإداري بين العاملين في الأجهزة العامة، يتم دائماً حله بوضع عقوبات معينة على الجاني فقط، وهذا وحده لا يكفي إذ لابد من معرفة الأسباب الجوهرية وراء ذلك الفساد، وربما يكون من الأسباب : قلة الرواتب، وعدم وجود حوافز، أو يكون بسبب ضعف آليات العمل وجدواها، أو بسبب عدم العناية باختيار العاملين وتأهيلهم تأهيلاً جيداً... الخ.

إنه لو تم بحث هذه المشكلة من جميع أسبابها لاستطعنا أن نضع أيدينا على الداء الحقيقي، ومن ثم نضع الحلول الملائمة، فتكون فعلاً قضينا على مشكلة الفساد الإداري، أو على الأقل تم التخفيف منه إلى أعلى نسبة ممكنة.

مثال آخر : مشكلات ضعف المعلم، أو القيادات الإدارية في بعض الأجهزة الإدارية العامة، فإذا لم نضع معايير واضحة، ومقننة لاختيارهم، ونقوم بإنشاء معاهد، وكليات متخصصة مزودة بكل وسائل التقنية الحديثة، ويقوم عليها معلمون، وكفاءات بشرية متميزة، فإن الحلول المقدمة لإصلاحهم ستكون ضعيفة، وليست بالمستوى المأمول الذي يكون له الدور البارز في تطوير الأمة ورفيها.

إن قضية البحث في الأسباب الرئيسة لحل المشكلات، أو عمل أي مشروع من القضايا المهمة في التطوير، والتغيير، والرفي بالأمة. والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما فيهما من توجيهات كريمة لا تخلو البتة من الإشارة بشكل مباشر، أو غير مباشر إلى كل ما يعين الإنسان، أو المجتمع، أو الأمة على التقدم والرفي.

ولذلك فإن بعض المفسرين، والكتاب، والمفكرين يركزون على قصة العبد الصالح (ذي القرنين) التي حكاها القرآن الكريم، وكيف أنه قام بالبحث الدقيق في معرفة الأسباب الحقيقية لتحقيق أهدافه، فقد استطاع - بتوفيق الله تعالى - أن يفتح مشارق الأرض، ومغاربها، وأن يحقق انتصارات عسكرية عظيمة، ولذلك فهي



درس عظيم للبحث الدقيق في معرفة الأسباب، وفي الأخذ بالأسباب للوصول إلى الأهداف المنشودة، وتحقيق النتائج الإيجابية المشرفة.

وقصة ذي القرنين كما هو معروف جاءت في سورة الكهف التي وردت توجيهات نبوية شريفة كثيرة بقراءتها في يوم الجمعة، أو ليلتها، ولعل من أسرار تكرار قراءتها بشكل أسبوعي التأكيد على أهمية البحث الدقيق في أسباب المشكلات والقضايا التي دائماً ما تعترض طريق الإنسان، وتعيق التقدم والرقى، والمنافسة مع الأمم المتقدمة، والوصول إلى الحلول المناسبة لذلك.^{٥٧}

وهذه القصة العظيمة ذات العبر، والمضامين الجليلة تشير إلى قضية جوهرية، ومهمة للغاية، وهي أن التمكين في الأرض، والاستخلاف فيها لا يتأتى بالعبادة بمفهومها الضيق الذي ربما يتبادر إلى ذهن بعضنا في قول الله تعالى: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ].^{٥٨}

إن التمكين في الأرض يأتي بالبحث الجاد عن الأسباب، والأخذ بها حسب التوجيه القرآني لذي القرنين، في قوله تعالى: [إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا]،^{٥٩} وهذا يوضح شمول العمل الصالح، بل ومن لوازمه، وأساسه الأخذ بكل الأسباب الكفيلة بالإصلاح، والتطور، والرقى بالأمة شريطة أن تكون وفق أوامر الله تعالى، واجتتاب نواهيه.

ويلق الشيخ محمد الغزالي - يرحمه الله - على قصة ذي القرنين بأن التمكين في الأرض كان الصفة البارزة في قصة الرجل الذي أراد الله تعالى أن يسوق لنا خبره، وأن يحكى لنا تاريخه، وهنا نرى أن التمكين في الأرض يبدأ نعمة من الله تعالى على من أراد من خلقه، فهو يمهّد له ويعينه، ولكن على من يحظى بهذه النعمة



(٥٧) (الشهود، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، ج ٩، ص ٧٥).

(٥٨) (النور: ٥٥).

(٥٩) (الكهف: ٨٤-٨٥).



أن يبذل قوامه، وأن يأخذ بالأسباب، فإنه إن انكشمت يده وانقبضت، ولم يؤت السبب المطلوب منه ضاعت النعمة، ولم تبق له.

ثم قال - يرحمه الله - إن ذا القرنين جاء إلى قوم يشبهون حال الأمة الإسلامية اليوم من التواكل، فلما جاءهم قالوا له شاكين باكين : [قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا] أي : جائزة ومكافأة [عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا]^{٦٠} ، لم لا يحسنون بناء سد لهم ؟ لأنهم عجزوا !! فكان الرجل ذكياً تقياً قال : أنا مستغن عن جوائزكم، ومكافآتكم، وخرجكم : [قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ، آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ]^{٦١} ، أي : قام وعمل واجتهد وأخذ بالأسباب، وحقق أعمال، ومشاريع ضخمة للغاية.^{٦٢}

وبالنظر والتأمل في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يلحظ قيامه صلى الله عليه وآله وسلم في جميع تصرفاته، وحركاته، وفتوحاته بالاعتماد بعد الله تعالى على جميع الأسباب المتاحة، حيث لم يتواكل ويهمل أي سبب متاح يساعده في الوصول إلى أهدافه، ففي هجرته صلى الله عليه وسلم خرج واعتمد على كل وسائل الإخفاء عن قريش، حتى تحقق له بتوفيق الله تعالى الوصول إلى هدفه.

وكذلك أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر بالأسباب المعينة لتحقيق أهدافه، وفي غزوة أحد لبس درعين، وفي غزوة الأحزاب حفر الخندق، وقد كانت سيرته العطرة تجسيدا لهذا التوازن الرائع بين الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه، وبين الأخذ بالأسباب المشروعة المتاحة.^{٦٣}

(٦٠) (الكهف : ٩٤) .

(٦١) (الكهف : ٩٥-٩٦) .

(٦٢) (الغزالي، خطب الشيخ محمد الغزالي، ج ٣ ، ص ٤٦) .

(٦٣) (الشهود، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، ج ٥ ، ص ١٦٥) .



- منطلقات وأسس مهمة

إن العناية والاهتمام ببحث الأسباب الجوهرية التي تكمن وراء المشكلات والقضايا القائمة أمر في غاية الأهمية، لأنه يساعد كثيراً بإذن الله تعالى في وضع الأمور في نصابها، وضبطها مما يساعد على تحقيق التقدم والرفي المنشود بإذن الله تعالى، ومن أهم المنطلقات لذلك :

أولاً : الاهتمام والعناية بإعداد القادة الإداريين، وفق النظم الإدارية الحديثة، وإنشاء معاهد متخصصة لهم لتطوير قدراتهم، وتدريبهم على حسن القيادة والتوجيه.

ثانياً : الاهتمام والعناية بدراسة المشكلات القائمة دراسة علمية من قبل متخصصين في حل المشكلات، ومن ثم العمل على وضع الحلول الملائمة.

ثالثاً : تقوية جانب المتابعة والإشراف من الجهات الرقابية المختصة بالإشراف على القطاعات العامة، للتأكد من سلامة قيام كافة العاملين بمسؤولياتهم، ومحاسبة كل من ثبت تقصيره بالعقوبة المناسبة.

رابعاً : الاستفادة من خبرات وتجارب المجتمعات المتقدمة في حل المشكلات المماثلة، مع مراعاة فوارق العوامل المختلفة بين المجتمعات، وفي مقدمتها : الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

خامساً : ضرورة تعاون المؤسسات التربوية المختلفة في توجيه الناشئة، والشباب، وكافة أفراد المجتمع، بأن لا يكتفوا بالاعتماد على غيرهم فيما يحتاجونه من شؤون حياتهم، بل عليهم العناية بالجدية، والمثابرة، وتحمل المسؤولية في كل أعمالهم، صغيرها، وكبيرها، حتى يصبحوا مجتمعاً، وأمة لها كيانها، ولها مكانتها.



المبحث التاسع

العناية بالتخطيط والتدريب والتأهيل

وتطوير القدرات



المبحث التاسع : العناية بالتخطيط والتدريب والتأهيل وتطوير القدرات:

إن كل عنصر من العناصر الذي حواها العنوان على درجة عالية من الأهمية، ويحتاج إلى مبحث خاص به لبيان أهميته، ودوره الفاعل في التطوير، والتغيير، والرقى بالأمة، ولكن تم دمجها في عنوان واحد لتربط بعضها ببعض بشكل كبير جداً، ومن باب الاختصار في العرض، ويكفي التذكير بها، والإشارة إليها، وهو غرض هذه الدراسة.

إن التخطيط، والتدريب، والتأهيل، وتطوير القدرات من أسس الإدارة الناجحة، وله أهميته البالغة على كافة المستويات، سواء على مستوى الفرد، أو المجتمع، أو الأمة، وأي مجتمع لا يتوافر لديه هذه العناصر المهمة بالمواصفات العلمية، والرؤى الواضحة، فإنه بالتأكيد لا يحقق تقدماً مقارنة بالمجتمعات المتقدمة الأخرى، وسيبقى قابلاً في مؤخرة الركب، يجر ذيل التخلف حتى يفوق من رقدته.

إن هناك تلازماً قوياً لا ينفك البتة، بين التقدم والرقى، وبين هذه العناصر المهمة، ولو رجعت لأسس ومنطلقات التقدم في الدول المتقدمة اليوم، لوجدت أن التخطيط، والتدريب، والتأهيل، وتطوير القدرات، أضحي لديهم من بدهيات العمل الإداري، وتطوير الأفراد، والمجتمعات والأمم، ولذلك فإنه لا يمكن بحال أن تصل إلى القمة، وتتسم الريادة بين الأمم إذا غفلت عن أهم أسس التطور الكامنة في العناصر السابقة.

وإذا تأملت عنصراً واحداً منها، وهو التخطيط لوجدت أن المتخصصين في مجاله، وأهل العلم والمعرفة، والخبرة يؤكدون على مقولة شائعة، وهي: " إن كل دقيقة نبذلها من وقتنا للتخطيط توفر أربع ساعات عند التنفيذ "، وما ذلك إلا لأهمية التخطيط على مستوى الأفراد، والمؤسسات، والدول، بل حتى على مستوى الأمم، والحضارات، فهذا فقط عنصر واحد مما أشرنا إليه له هذه الأهمية، فكيف ببقية

العناصر الأخرى مجتمعة ؟ وهي كل عنصر منها يساند، ويعضد الآخر في التقدم والرقى.

ولو نظرنا وتأملنا في الكثير من الأجهزة الإدارية العامة في المجتمعات الإسلامية اليوم لوجدنا مسميات إدارات للتخطيط، والتدريب، والتأهيل حاضرة في الكثير من الأجهزة الإدارية، ولكن المشكلة تكمن في أنه يغلب عليها الطابع العشوائي، وعدم وجود رؤية، وأهداف واضحة، ولذلك فهي ضعيفة الجدوى، ولا تعمل بالصورة التي يمكن من خلالها الفاعلية، وتحقيق التطور الذي يُنظر إليه، ويجعل هذه الأجهزة تتطور يوماً بعد يوم.

ولعل ذلك - في رأيي - يعود لسببين رئيسيين يكمل أحدهما الآخر، وهما :
الأول : عدم الشعور التام، والإحساس، والقناعة بأهمية هذه العناصر في العمل والتطوير، والرغبة فقط في إدارة الأعمال بأسلوب عتيق عفا عليه الزمن.

الثاني : قلة الإنفاق المالي المخصص لهذه العناصر، مقارنة بالدول المتقدمة التي تنفق عليها مبالغ ضخمة لمعرفتها بجوداها، وتأمين دورها المستقبلي، بل إن المنطق العلمي يقول : كلما زاد الإنفاق المدروس على هذه العناصر زادت الفائدة منها.

وحقيقة نتوقع لو تم إعداد إحصائية دقيقة عن إنفاق الدول المتقدمة على العناصر السابقة مقارنة بالدول النامية، ومنها المجتمعات العربية والإسلامية لشاهدنا الفارق الكبير بين الانفاقين كما هو الحال في الكثير من مقومات الرقي والتطور الأخرى، ولأنضح لنا السر الكامن في تقدم الدول الأوروبية، وبعض دول آسيا، وتراجع مجتمعاتنا الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أنه ظهر اليوم، وتحديداً عام (١٩٩٥ م) في الولايات المتحدة الأمريكية ما يعرف بمصطلح: " الفجوة الرقمية " الذي أصبح شائعاً خلال السنوات القليلة الماضية، وهو تعبير يُستخدم للدلالة على تلك الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة، و الدول النامية في مجال الإنفاق على كل العناصر المعينة على التقدم والرقى.



فعلى سبيل المثال لا الحصر : إدخال التقنية الحديثة في أعمال القطاعات الإدارية العامة، وهي ما تسمى اليوم بالحكومة الإلكترونية، نجد أن هناك ضعفاً كبيراً في التواصل مع التقنية في الدول المتطورة الأخرى سواء في أوروبا، أو بعض دول آسيا، بسبب ضعف الإنفاق، والميزانيات المخصصة لها، فضلاً عن عدم وجود التخطيط العلمي المدروس من جهة، وفي عدم وجود العاملين الذين هم على قدر من العلم، والفهم، والخبرة لتفعيل هذه التقنية على كافة مستويات الإدارة داخل الجهاز الواحد من جهة ثانية.

ومن الأمثلة أيضاً : ضعف المعاهد، والمؤسسات العلمية المتخصصة في التدريب على حد سواء من حيث البرامج، ومن حيث المدربين، وحتى في الإمكانيات المادية الأساسية : من مبان، وآليات، ومعامل خاصة، ولذلك تجد ضعفاً كبيراً في إمكانيات العاملين، وخصوصاً القادة الذين يتسمنون مسؤولية التوجيه والإرشاد لعدد من العاملين في الجهاز الإداري، وهذه مشكلة كبرى، بل ربما تجد بعض العاملين في الجهاز الإداري أن قدراته، ورؤيته أكثر وضوحاً، ونضجاً من قائده.

وفي حقيقة الأمر إن الإنسان هو الإنسان في أي مكان، وفي أي زمان، فقد زوده الخالق سبحانه وتعالى بقدرات، وإمكانيات عظيمة، ولكن هذه القدرات تحتاج عوامل، وظروف، وبيئات معينة تساعد على اكتشاف قدراته، ومواهبه، والعمل على تنميتها، وتطويرها، يوماً بعد يوم، وما وصلت إليه الدول المتقدمة من تقدم وتطور اليوم إلا بعنايتهم التامة بكل العوامل، والبيئات، والظروف، التي تجعل من الفرد منتجاً وإيجاباً.

لأشك أن هناك جهوداً تبذل من بعض المؤسسات الخاصة في إنشاء معاهد خاصة في إعداد العاملين، والقادة، وتدريبهم، وتطوير قدراتهم، ولكن هذه الجهود مازالت في إطار ضيق، ومحدود، ولا يحقق الطموحات، ولا الآمال العريضة، ولا يخدم بالشكل المطلوب تطوير الأمة والرقى بها.



وفي ظني أن هناك جملة من العوائق في المجتمعات الإسلامية التي تكون سبباً رئيساً في ضعف تأدية عناصر : التخطيط، والتدريب، والتأهيل، وتطوير القدرات، دورها بالشكل المطلوب، ومن ذلك :

أولاً : التدخل الفردي من قبل بعض القيادات في إصدار توجيهات مرتجلة، وعشوائية، ثم يتم وضعها موضع التنفيذ، وهذا من أخطر العوائق، ويجب أن يحترم مجال التخصص، ومراعاة جانب التخطيط بعيداً عن العشوائية، والآراء الفردية.

ثانياً : قلة وجود مستشارين على قدر من العلم، والدراسة، والجراءة في توضيح الحقائق، وبيان الخطأ من الصواب للقادة.

ثالثاً : ضعف تأثير الإعلام في الإشارة إلى مثل هذه العناصر المهمة، وتركيزه فقط على سلبيات تافهة، هي في الأصل نتائج لمشكلات، وليست أسباب حقيقية تفيد في معالجة القضايا.

رابعاً : ضعف قدرات الكفاءات الوظيفية، والعاملين في الأجهزة الإدارية العامة، لضعف وجود معايير جيدة في اختيارهم وتعيينهم.

خامساً : قلة وجود المؤسسات المعنية بالتخطيط، والتدريب، وتطوير القدرات، ذات الكفاية العالية المطلوب.

- منطلقات وأسس مهمة

إذا أردنا الرقي بمجتمعاتنا الإسلامية، وللحاق بركب الدول المتقدمة، فيكون من الأهمية بمكان إعادة النظر بجدية، وحرص كبيرين في الآتي :

أولاً : ضرورة تفعيل إدارات التخطيط، والتدريب، وتأهيل القادة بالشكل العلمي المدروس، وعلى نهج الدول المتقدمة، مع مراعاة العوامل المؤثرة في كل بيئة عن الأخرى.

ثانياً : العناية التامة بتأهيل كافة العاملين في الأجهزة الإدارية العامة، وفي مختلف المستويات الإدارية، ولا يقبل أي شخص إذا لم يكن لديه التأهيل المطلوب.





ثالثاً : أهمية رصد الميزانيات اللازمة للعناصر السابقة، والإنفاق بسخاء في سبيل توافرها، وفعاليتها لأهميتها في تطوير الإنسان القادر على التغيير والرقى بالأمة، مع أهمية ضبط عملية الإنفاق بالطرق العلمية المناسبة.

رابعاً : أهمية إعداد دراسات علمية من قبل جهات متخصصة لمعرفة الواقع الحقيقي لهذه العناصر، ومن ثم إعداد الاستراتيجيات اللازمة للبدء الفعلي في تصحيح مسارها والاستفادة منها.

خامساً : ضرورة متابعة القيادات العليا في المجتمع لهذه العناصر، والإشراف المباشر عليها، والمطالبة بتقديم تقارير علمية لمعرفة مدى فاعليتها.

سادساً : ضرورة التعاون التام بين المجتمعات الإسلامية بعضها بعضاً، وبينهم وبين الدول المتقدمة من جانب آخر، في كل ما يخدم تطوير هذه العناصر مجتمعة.



المبحث العاشر

إنشاء مراكز علمية

في البحث العلمي والمعلومات



المبحث العاشر : إنشاء مراكز علمية في البحث العلمي والمعلومات

إن البحث العلمي، وتوافر المعلومات والإحصاءات متلازمان، ومكملان بعضهما بعضاً، فلا يمكن بحال أن يكون هناك بحث علمي أصيل، وجاد إذا لم تتوافر له المعلومات اللازمة عن الموضوع المراد بحثه، بل لو تم إجراء أي بحث دون توافر المعلومات الكاملة، فلا يمكن أن تثق بنتائجه، وتوصياته، وربما كان ضرره أكثر من نفعه، لو نفذت توصياته.

ولذلك كان من الضروري أن يسير كل من البحث العلمي، وتوافر المعلومات جنباً إلى جنباً، فالبحث العلمي هو : عبارة عن آليات، وخطوات علمية محددة، يقوم بها متخصصون لدراسة مشكلة، أو قضية معينة، وأما المعلومات فهي : وصف كمي يقدم صورة واقعية للموضوع، أو القضية المراد دراستها، ومعالجتها سعياً للتطوير، والتحسين نحو الأفضل، والأكمل.

إن إنشاء مراكز علمية للبحث العلمي، والمعلومات في كافة المجالات، والتخصصات، أصبح أمراً في غاية الأهمية، بل ضرورة من ضروريات الحياة، وتعد من الأسس والمرتكزات المهمة لتطوير المجتمعات، والأمم، ولقد تميزت الدول المتقدمة اليوم بكثرة إنشاء المراكز العلمية للبحث العلمي، والمعلومات لديها، وأصبحت هذه المراكز أسلوب، ونمط حياة معتاد يرجع إليه في حل القضايا، والمشكلات، ومعرفة التوجهات، والآراء، والأفكار، حول القضايا والموضوعات المهمة.

والناظر لأحوال أكثر المجتمعات الإسلامية اليوم يرى فيها قلة، وندرة إنشاء مراكز البحث العلمي، ومراكز المعلومات، ولعل أي باحث يريد تناول موضوع معين لبحثه، فإنه يجد صعوبة بالغة في إيجاد المكان المناسب له، وفي توافر المعلومات، والإحصاءات المفيدة حول الموضوع، ولو توافرت بعض المعلومات فإنه ليس بالسهولة الحصول عليها، وقد يغلب على بعضها السرية، وهي ليست كذلك، ولكن الأسلوب الإداري التقليدي قد فرض مثل هذه الأنماط الإدارية السلبية المعيقة للتقدم والرقى.



ومن باب الإنصاف، فهناك اجتهادات بإنشاء مراكز علمية في بعض الجامعات، أو الأجهزة الحكومية، ولكن مازلت في بدايتها، ويغلب عليها ضعف الدراسات، وتركيز غالبتها على الجوانب النظرية دون العلمية، ناهيك عن عدم توافر الإمكانيات المادية، والبشرية لها، وبالتالي فإن ما تتوصل إليه من نتائج، وتوصيات ليست ذات فاعلية، وقبول، فتكون حينئذ هذه المراكز مواقع، وأسماء إعلامية بدون تأثير، أو فاعلية تذكر في التطور والرقى.

إن المجتمعات الإسلامية اليوم إذا أرادت الحراك الصحيح نحو التقدم والرقى، فيكون من الضروري التوجه، وبشكل كبير نحو إنشاء مراكز البحث العلمي، ومراكز المعلومات، وخصوصاً في المجالات العلمية كالفيزياء، والكيمياء، والحاسب الآلي، والتكنولوجيا بأنواعها، وغيرها من التخصصات الدقيقة، فلو نظرت وبحثت في الخطوات الأولى لانطلاق الدول المتقدمة في أوروبا، وأمريكا، وبعض دول آسيا كاليابان، والصين، وكوريا، وسنغافورة، لوجدت اهتماماتهم الكبيرة بهذه المراكز، وفي هذه التخصصات العملية تحديداً.

إن المشكلة الكبيرة جداً لدينا اليوم، هي : مسألة القناعة، والقبول بهذه المراكز، لأنه في ظني أن بعض القائمين على القطاعات العامة لا يميلون، ولا يحبذون هذا الأسلوب الحديث والمتطور في معالجة المشكلات، والقضايا، ذلك لأنهم لم يعتادوا الأسلوب العلمي في حياتهم، لأن أسلوب الحياة لديهم يغلب عليه العشوائية، ويسعون في تأدية أعمالهم بالبركة!! وكل شيء يقولون : يمشي بالبركة، وهذه عبارة غير دقيقة، وأي بركة في عمل لا يؤخذ فيه بأسباب النجاح والتطور، فهو جهل وتخلف، ومخالف لسنن الله تعالى في التقدم والتطور.

فحينئذ تكون الخطوة الأولى في المجتمعات الإسلامية ترسيخ مفهوم البحث العلمي، والمراكز العلمية في أذهان الجميع، صغاراً، وكباراً دون استثناء، حتى يصبح التفكير العلمي الجاد، هو أسلوب الحياة الجديد في المجتمعات الإسلامية، وهذا بدون شك يحتاج إلى برامج تربوية، وإعلامية مدروسة، ومكثفة لفترة زمنية، حتى يتم



التأكد من حدوث القناعة بإنشاء المراكز العلمية، والمعلومات، وتأثيرها البالغ في تقدم الأفراد والمجتمعات.

ويؤكد الدكتور فهد الحارثي أهمية البحث العلمي في التقدم، فيقول: ففي الوقت الذي تقف فيه المشروعات العربية، في مجال البحث والتطوير عند عتبة الدعاية البعيدة عن جدية الإنجاز، أو عند باب " الترف الأكاديمي " فحسب، نجد أن دول العالم المتقدم تُكرس الكثير، والوفير من إمكانياتها لدعم البحث، والتجارب العلمية المختلفة، من أجل التطوير، ومن أجل مستقبل أكثر ثباتاً.^{٦٤}

ثم يتحدث عن المقارنة في الإنفاق على البحث العملي بين الدول العربية كجزء مهم من العالم الإسلامي، وبين دولة إسرائيل فيقول: بالمجمل يبلغ إنفاق الدول العربية (مجتمعة) على البحث العلمي، والتطوير تقريباً نصف ما تنفقه إسرائيل، على الرغم من أن الناتج القومي العربي يبلغ (١١) ضعفاً للناتج القومي في إسرائيل، والمساحة، هي : (٦٤٩) ضعفاً، واحتلت إسرائيل المرتبة الأولى عالمياً من حيث نصيب الفرد من الإنفاق على البحث العلمي، وجاءت بعدها الولايات المتحدة الأمريكية، ثم اليابان، أما الدول العربية فهي أقل بعشرات المرات من إسرائيل.^{٦٥}

ثم يواصل القول: بل إن المقلق أن نسبة ما تنفقه البلدان العربية الغنية من دخلها الوطني على البحث العلمي يقل بكثير عما تنفقه البلدان العربية الفقيرة، أو متوسطة الدخل ! وإن مرتبة بلدان العرب في معدلها العام من حيث الإنفاق على البحث العلمي تأتي في الأدنى بين مناطق العالم كلها، وهي تأتي حتى بعد إفريقيا الفقيرة !!^{٦٦} وأقول: إذا كانت إسرائيل الدولة الصغيرة جداً مساحة، وعدد سكان، والمعتدية على جزء ثمين من بلاد المسلمين، فيه ثالث الحرمين الشريفين منذ عشرات السنين تفوق مراكزها البحثية الدول العربية كلها مجتمعة، فهذا يؤكد ضعف

(٦٤) (الحارثي، أزمة البحث العلمي والتنمية، مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، موقع على الشبكة العنكبوتية).

(٦٥) (الحارثي، المرجع السابق).

(٦٦) (الحارثي، المرجع السابق).



إرادتنا، بل وضعف وحدتنا، وضعف إيماننا لأن الغلبة على الأعداء تحتاج إلى إعداد، وقوة مساوية لهم، أو أكثر منهم حتى تستطيع أن تأخذ حقلك منهم بالقوانين المادية، وسنن الحياة المعاصر.

إننا إذا كنا ننتظر الكرامات، والبركات لوحدها، فأعتقد أن ذلك خلل في كل موازين الحياة لدينا، وفي مقدمتها فهمنا لحقيقة الإيمان، وحقيقة التعامل مع السنن الكونية التي نظم الله تعالى بها الكون، فمن أخذ بها أياً كان سار في الطريق الصحيح، ومن تخاذل إلى غيرها من الأوهام، والأحلام، والأمانى، فلا نقول: إلا ما قال الله تعالى: [وَأِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]^{٦٧}.

- منطلقات وأسس مهمة

بعد التأكد من أهمية ومكانة المراكز البحثية، ومراكز المعلومات، وبعد معرفة الواقع غير المرضي في المجتمعات الإسلامية لهذه المراكز، فإنه لا بد من وضع منطلقات للبدء في هذه المراكز، ومن ذلك:

أولاً: أهمية تنمية وترسيخ الوعي بأهمية البحث العلمي، ومراكز المعلومات لدى كافة أفراد المجتمع، وبيان دورها الكبير في دعم التنمية الشاملة في كافة المجالات: الاقتصادية، والاجتماعية، والتعليمية، والثقافية.

ثانياً: توفير الميزانيات اللازمة لهذه المراكز العلمية، والإنفاق عليها بسخاء أسوة بما تنفقه الدول المتقدمة في هذا المجال.

ثالثاً: استقطاب العقول الذكية المتميزة للعمل في هذه المراكز، وهم ولله الحمد كثير في مجتمعاتنا الإسلامية، بل إن بعض المتميزين هاجر إلى الخارج لعدم وجود المحضن والبيئة المناسبة لفكره، وإبداعاته، وطموحاته، وأصبح اليوم علامة بارزة في الدول المتقدمة.



رابعاً : ضرورة تحسين وضع دخول الباحثين، وخصوصاً في المجالات العلمية ذات الدعم والتأثير القوي في التنمية والتطوير، ووضع الحوافر المادية المناسبة لهم لتشجيعهم، وتحفيزهم لمزيد من العطاءات المفيدة.

خامساً : الحرص التام على توافر التجهيزات، والوسائل العلمية الجيدة، والمتطورة في مراكز البحوث، والمعلومات، والعناية بإدخال كل التقنيات الحديثة المساعدة في تسهيل مهماتها.

سادساً : أهمية استقلال مراكز البحوث في قراراتها ونتائجها، وعدم وجود سلطة رسمية توجه أبحاثها وفقاً لغايات ومقاصد معينة.

سابعاً : أهمية إظهار الشفافية، والوضوح التام، والتحرر من قيود سرية المعلومات، وتسهيل إمكانية الوصول إلى البيانات والإحصاءات المطلوبة باعتبار أن ما سيتم إنجازه هو لخدمة المجتمع وتقديمه.

ثامناً : ضرورة أن يكون هناك تواصل مستمر مع المراكز العلمية والبحثية، ومراكز المعلومات في الدول المتقدمة، وعمل الاتفاقات اللازمة بينهما حتى يتم الاستفادة من الأفكار، والمعلومات الجديدة، وتبادل المعلومات التي تخدم حاجات المجتمعات الإسلامية.

تاسعاً : أهمية إلزام القطاع الخاص بالمشاركة بشكل فاعل وكبير في إنشاء ودعم مراكز البحث العلمي، ومراكز المعلومات.

عاشرأ : العناية التامة بإعطاء الأولوية في المرحلة الأولى من التطوير إلى إنشاء مراكز علمية في الكيمياء، والفيزياء، والتكنولوجيا، وكافة العلوم العلمية الأساسية المهمة للتطور والرفي بالمجتمع.

الاستفادة مما عند الأمم الأخرى في الشرق والغرب من علوم متطورة ومن تجارب وخبرات مفيدة



المبحث الحادي عشر : الاستفادة مما عند الأمم الأخرى في الشرق والغرب من علوم متطورة ومن

تجارب وخبرات مفيدة

إن المعرفة تكاملية، وتراكمية، ومن الطبيعي أن يستفيد إنسان من آخر، ومجتمع من آخر، ولو نظرنا لأكثر العلوم قديمها، وحديثها، لوجدنا مصداق ذلك، فالمسلمون الأوائل أخذوا من حضارة فارس، والروم، واليونان، والهند، والصين، ثم طوروها، وأبدعوا فيها، وصبغوها بطابع إسلامي أصيل، نتجت معه حضارة إسلامية تميزت في مختلف العلوم العلمية، والنظرية في وقت كانت الحضارة الغربية في تخلف، وجهل، فيما يسمى بالعصور الوسطى، أو عصور الظلام.

ومع تراجع الحضارة الإسلامية، ويسقوط الأندلس في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) لتحقيق السنة الكونية بتداول الأيام بين الناس، نشط الغرب في دراسة ما عند المسلمين من تطور مميز في العلوم بمختلف التخصصات العلمية، والاجتماعية، فبدأ يرسل البعثات إلى المدارس والجامعات الإسلامية في البلاد الإسلامية فاستطاع الغرب، وفق خطط مدروسة، وجد، واجتهاد، وإتباع السنن الكونية في العلم، والسيطرة، أخذ ما عند المسلمين من علوم مختلفة، وطوروها، واعتنوا بها أيما اعتناء، فنتج بما أخذوه، وبما عندهم من معرفة سابقة نهضة علمية متميزة، مازالت تضيء للعالم حتى اليوم بعلوم نافعة مفيدة.

إن التمجيد المتواصل، والافتخار المستمر اليوم، لما قام به أسلافنا من تطور في شتى العلوم، والمعارف في حد ذاته أمر تميل إليه الطبيعة البشرية، وهو أمر مستحق يبعث على الاعتزاز والشموخ، ولكن مشكلتنا اليوم أن ذلك أصبح عائقاً لنا، لأننا وقفنا عند حد التمجيد، والاعتزاز في كل محفل، وفي كل خطبة، وموعظة، وهذا لا يقدم شيئاً في إفادة الأمة البتة، وإنما يجعلها تقف عند نقطة واحدة.

إن الحقيقة التي يجب أن يعرفها الجميع أن هذا تاريخ قد مضى، ونتعامل معه على هذا الأساس، وممكن الاستفادة منه في حدود الدروس والعبر، ولكن لا



يمكن أن تطور مجتمعاتنا الإسلامية ونرقى بها بالتمجيد الفارغ من محتوى العمل والاجتهاد، لأن النظر إلى الخلف في كل وقت، والتشبث به، وسيطرته على كل مشاعرنا يعزز تأخرنا، وتخلفنا، وبقاءنا في الوراء، والأمم تتقدم وتتطرق إلى مسافات أبعد، وأبعد، فيكون من الصعوبة، بل ومن المستحيل الوصول إليهم.

إن من الواجب على المجتمعات الإسلامية اليوم أن تسير في خطين متوازيين، أن تعرف للأسلاف ممن برعوا في شتى العلوم حقهم في الإجلال، والتقدير اللائق بهم، وأن تقدم اليوم لأمتنا الجد، والاجتهاد، والعزيمة لمواصلة المسير نحو تحقيق التقدم، والرقى اللائق بمكانتها، وعزتها كأخر الأمم.

إن الإسلام بشموله وضع الخطوط، والقواعد العامة في الاستفادة من خبرات، وعلوم، ومعارف الأمم الأخرى، بل حتى من الأعداء، وفي الحديث الشريف أن الشيطان، وهو عدو مبين للإنسان، حذر منه القرآن الكريم عَلمَ أبا هريرة - رضي الله عنه - آية الكرسي؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " صدقك، وهو كذوب ذاك الشيطان "،^{٦٨} فلا بأس أن نأخذ من تجارب الأمم، وخبراتهم بما نستفيد منه؛ وقد قيل: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

وقد كانت السيرة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم زاخرة بالمواقف العظيمة، بالاستفادة بما عند الأمم السابقة على اختلاف عقائدهم، ومذاهبهم، فقد استفاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - من خبرة عبدالله بن أريقط بالطريق عند هجرتهما من مكة إلى المدينة، وهو مشرك، وأخذ من علوم الفرس بحفر الخندق في غزوة الأحزاب بمشورة سلمان الفارسي - رضي الله عنه - ، كما استفاد الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - من تجارب الدول الأخرى، وخاصة الفارسية، والرومانية، حيث أخذوا منهم الكثير من الخبرات، والمعارف السياسية، والإدارية، والاقتصادية.



فالواجب علينا اليوم معاشر المسلمين أن نعلي من مكانة ديننا بالعمل، والتخطيط السليم، نحو الأفضل حتى نحقق الكمال في الجانبين كمال التشريع الإسلامي، والكمال البشري للمسلمين في تطبيقهم لتوجيهات شريعتهم الحاضرة على العلم، والمعرفة، والأخذ بأسباب التقدم، والتطور، والازدهار في كل مناحي الحياة، وحتى نبرهن للعالم أن أمة الإسلام أمة متحضرة عصريّة تتبذ الجمود، وتسعى للتطور، والسلام بكل الوسائل العلمية الحديثة الممكنة، ونمحو عنها ما رسخ في أذهان الكثير من المجتمعات الغربية أننا أمة ضعيفة، ومتخلفة، وغير قادرة على التطور، والرقى، وأن ديننا الحنيف هو السبب الرئيس في ذلك.

إن من التجارب، والخبرات العملية الرائدة الماثلة أمام العيان تجربة اليابان، وكوريا، والصين، وماليزيا، وسنغافورة، فهي من نفس قارتنا، وهي تجارب ليست ببعيدة عنا، وكلها تستحق النظر، والتأمل، والاستفادة منها، وقد أخذت دولة ماليزيا بأساليب التعليم اليابانية لاقتربها منها، فقد رأى الماليزيون أن أفضل نظام تعليمي يتناسب مع قدراتهم، هو النظام الياباني، لذلك قررت ماليزيا إقامة الشراكة الاستراتيجية مع اليابان تعليمياً، واقتصادياً، وقد حققت ماليزيا ما تتطلع إليه من تنمية، فهي حسب كتاب المنافسة السنوي الذي يصدره المعهد الأمريكي الدولي لتطوير الإدارة أكدت أن ماليزيا تحتل المركز الثاني عالمياً كأفضل اقتصاد تنافسي بالعالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، تلتها سنغافورة.^{٦٩}

ومن الملفت للنظر والمثير للإعجاب البدايات الأولى للنهضة اليابانية، والتي أشار إليها الكثير من الكتاب، والدارسين كتجربة متميزة، ومفيدة مليئة بالدروس، والعبر التي نحن في أمس الحاجة إليها، ولأهميتها ومناسبتها لهذا المقوم فإنني أكتفي بإيرادها، والتي تركزت انطلاقتها في قصة الشاب الياباني: "تاكيو اوساهيرا" ودوره



المؤثر في النهضة الصناعية في اليابان، وكان مبعوثاً من قبل حكومته للدراسة في جامعة هامبورج بألمانيا، فيحكي قصته بنفسه، فيقول :

١- كنت أحلم بأن أتعلم، كيف أصنع محركاً صغيراً ؟

٢- إن لكل صناعة وحدة أساسية، هي أساس الصناعة كلها، فإذا عرفت كيف تصنعه، وضعت يدك على سر هذه الصناعة كلها.

٣- قرأت حتى عرفت نظريات الميكانيكا كلها.

٤- ذهبت أشتري محركاً، فوجدت في المعرض محركاً قوة حصانين ثمنه يعادل مرتبي كله، فأخرجت الراتب، ودفعته بالكامل، وحملت المحرك، وكان ثقيلاً جداً، وذهبت إلى حجرتي، ووضعت على المنضدة، وجعلت أنظر إليه، كأنني أنظر إلى تاج من الجواهر، وقلت لنفسني: هذا هو سر قوة أوروبا، لو استطعت أن أصنع محركاً كهذا لغيرت اتجاه تاريخ اليابان.

٥- مضيت أعمل: رسمت منظر المحرك، بعد أن رفعت الغطاء الذي يحمي أجزائه، ثم جعلت أفككه قطعة قطعة، وكلما فككت قطعة رسمتها على الورق بغاية الدقة، وأعطيتها رقماً، وشيئاً فشيئاً، فككته كله، ثم أعدت تركيبه، وشغلته فاشتغل، كاد قلبي يقف من الفرح، استغرقت العملية ثلاثة أيام، كنت آكل في اليوم وجبة واحدة، ولا أصيب من النوم إلا ما يمكنني من مواصلة العمل.

٦- حملت النبا إلى رئيس بعثتنا فقال : حسناً ما فعلت، الآن لابد أن أختبرك، سأتيك بمحرك متعطّل، وعليك أن تفككه، وتكشف موضع الخطأ، وتصححه، وتجعل هذا المحرك العاطل يعمل، وكلفتني هذه العملية عشرة أيام.

٧- إنني "بوذي" الديانة على مذهب (رن)، ومذهبي هذا يقدر العمل، فأنت تتعبد إذ تعمل، وما تعمله بعد ذلك من شيء نافع، يقربك من "بوذا".

٨- بعد ذلك قال رئيس البعثة : عليك الآن أن تصنع القطع بنفسك، ثم تركيبها محركاً، ولكي أستطيع أن أفعل ذلك، التحقت بمصانع صهر الحديد، وصهر النحاس، والألمنيوم، بدلاً من أن أعد رسالة دكتوراه.



٩- كما أراد مني أساتذتي الألمان، تحولت إلى عامل ألبس بذلة زرقاء، وأقف صاغراً إلى جانب عامل صهر معادن، كنت أطيع أوامره كأنه سيد عظيم، حتى كنت أخدمه وقت الأكل، مع أنني من أسرة ساموراي، ولكنني كنت أخدم اليابان، وفي سبيل اليابان يهون كل شيء.

١٠- قضيت في هذه الدراسات والتدريبات ثماني سنوات، كنت أعمل خلالها ما بين عشر وخمس عشرة ساعة في اليوم، بعد انتهاء يوم العمل، كنت آخذ نوبة حراسة، وخلال الليل كنت أراجع قواعد كل صناعة على الطبيعة.

١١- علم (امبراطور اليابان) بأمرى، فأرسل لي من ماله الخاص، خمسة آلاف جنيه إنجليزي ذهب، اشتريت بها أدوات مصنع محركات كاملة، وأدوات، وآلات، وعندما أردت شحنها إلى اليابان، كانت النقود قد فرغت فوضعت راتبي، وكل ما ادخرته، وعندما وصلنا إلى (نجازاكي) قيل لي: إن (امبراطور اليابان) يريد أن يراني، قلت: لن أستحق مقابلته إلا بعد أن أنشئ مصنع محركات كاملاً.

١٢- وفي يوم من الأيام حملت مع مساعدي عشرة محركات صنعت في اليابان، قطعة قطعة، حملناها إلى القصر، ووضعناها في قاعة خاصة، بنوها لنا قريباً منه، ودخل (امبراطور اليابان)، وانحنينا نحياه، وابتسم، وقال: هذه أعذب موسيقى سمعتها في حياتي، صوت محركات يابانية خالصة.

١٣- هكذا ملكنا (الموديول)، وهو سر قوة الغرب، نقلناه إلى اليابان، نقلنا قوة أوروبا إلى اليابان، ونقلنا اليابان إلى الغرب، ثم ذهبنا وصلينا في المعبد، وبعد ذلك نمت عشر ساعات كاملة لأول مرة في حياتي منذ خمس عشرة سنة.^{٧٠}

قصة جميلة ورائعة ومحفزة .. أليس كذلك ؟! وكما ذكرت أنها مليئة بالدروس والعبر، وفي كل مقطع منها درس في طلب العلم، والمثابرة، والجد، ولذلك اكتفيت بتجزئتها على شكل فقرات لتسهيل قراءتها، والاستفادة منها، وفي يقيني أنها تغني عن الكثير من المحاضرات، والندوات، ولا أعتقد أنها بحاجة إلى التعليق عليها، فهي ناطقة، ومعبرة غاية التعبير.

- منطلقات وأسس مهمة

إنه من الأهمية القيام بعمل منظم ومدرس، للاستفادة مما عند الأمم المتقدمة من علوم متطورة، ومتميزة، ولعل من أبرز المنطلقات لذلك :

أولاً : انتقاء نخبة من أفضل الطلاب المتميزين في العلم، وقوة الإرادة، والعزيمة، وعمل برامج لهم واضحة الأهداف، والرؤى لابتعاثهم للخارج، ومتابعتهم، والإشراف عليهم بشكل دقيق.

ثانياً : إعداد برامج واضحة الأهداف، والرؤى بشكل دقيق، ومدرّس لتحديد التخصصات العلمية التي يحتاجها المجتمع في عملية التطوير والرقي.

ثالثاً : توفير الدعم المادي، والمعنوي الكبيرين لهؤلاء الطلاب المبتعثين، لأنهم عدة المستقبل، وتطلعات، وآمال المجتمعات الإسلامية.

رابعاً : التجربة الماليزية مثال متميز للتقدم في العالم الإسلامي، ويمكن الاستفادة منها، فهي تجربة فتحت باب الأمل من جديد نحو إمكانية النهوض الحضاري للمجتمعات، والأمة الإسلامية.

خامساً : لرئيس دولة ماليزيا السابق السيد / مهاتير محمد مجموعة كتب، ومقالات، وحوارات حول التجربة الماليزية، فيجب العناية بها، ووضعها موضع الدراسة والتحليل لاستخراج أهم الدروس التي يمكن الاستفادة منها، ومن ذلك :

- ١- كتاب الإسلام والأمة الإسلامية، عرض ومناقشة : د/ جمال المجايدة.
- ٢- خطة جديدة لآسيا، ترجمة فاروق لقمان، دار الإحسان، دار النشر غير معروفة.

٣- صوت آسيا، مهاتير محمد، وشتنارو إيشيهارا : زعيمان آسيويان

يناقشان أمور القرن المقبل، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨م.



سادساً : التجربة السنغافورية تجربة متميزة قادها رئيس الوزراء السابق " لي كوان يو " وهي تستحق الدراسة، والنظر، والتأمل، فقد طبع مذكراته، وصدرت في كتاب بعنوان : قصة سنغافورة، ترجمة هشام الدجاني، من إصدارات مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية.

سابعاً : لرئيس وزراء سنغافورة السابق مؤسس سنغافورة الحديثة " لي كوان يو " كلمة ألقاها في منتدى التنافسية العالمي الذي جرت فعاليته في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية خلال الفترة : (٢٠ - ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م)، ويجب العناية بدراستها، وتحليلها، واستخراج الدروس، والعبر من التجربة السنغافورية.

المبحث الثاني عشر

تقديم المصالح العامة

على المصالح الخاصة



المبحث الثاني عشر : تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة

إن المصالح العامة، والمصالح الخاصة من العبارات التي يكثر استخدامها في المجتمعات الإنسانية، وهي من لوازم الحياة، فلكل نوع مجاله، وحدوده، وربما المعروفة لدى الكثير من أفراد المجتمع، وخصوصاً أصحاب البصائر النيرة، والرؤى المعتدلة، وإذا عَرَفَ كل إنسان مسؤولياته، وواجباته انتظمت الحياة، أما إذا قُدمت المصالح الخاصة على المصالح العامة، فهنا تكمن المشكلة، وتتعالى الصيحات بالإصلاح ليتحقق للمجتمع استقراره، وتقدمه، ورقيه.

إن بعض المجتمعات الإسلامية للأسف الشديد اليوم تعاني من تقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة في الكثير من شؤون الحياة، وقد أشتهر تسمية ذلك بين الناس بالفساد الإداري، وأي فساد، وضرر أعظم من التعدي على المال العام، والحقوق العامة، والتساهل في ذلك دون خوف من الله تعالى، أو من خلقه.

إن التعدي على المصالح العامة تعدى على حقوق المجتمع بأكمله، وضرر يلحق بالجميع، بل هو في الحقيقة جريمة في حق المجتمع لما له من آثار سلبية خطيرة، ولا نبالغ في القول أن ذلك أصبح مشكلة متلازمة مع المجتمعات النامية ومنها بعض المجتمعات في العالم الإسلامي.

ولاشك أن الثورات التي قامت مؤخراً في بعض المجتمعات الإسلامية تؤكد بجلاء تام أنها عبارة عن ردود أفعال طبيعية لتفشي سيطرة المصالح الخاصة على المصالح العامة، وهذه المشكلة الخطيرة من الأسباب الرئيسة التي جعلت أكثر المجتمعات الإسلامية في تخلف، وموضع ازدراء من المجتمعات المتحضرة اليوم.

إن الإسلام بتشريعاته السامية أرسى دعائم المجتمع بحفظ الحقوق العامة، والخاصة من التعدي بأي صور من صور التعدي، فلا يجوز لأحد كائن من كان أن يتعدى، أو يستخدم سلطته في تحقيق مصالحه الخاصة البتة، وقد كانت سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وصحابته الكرام، وسلف الأمة الصالح

- رضي الله عنهم - زاخرة بالمواقف الناصعة، والمشرقة في المحافظة على المصالح العامة، وعدم استخدام المصالح الخاصة، بل جعلوا مصالحهم الخاصة مسخرة لخدمة المصالح العامة.

ومن الأمثلة التطبيقية في حياة رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم ما جاء في الحديث الشريف : عن أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أتهمهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : " أتشفع في حد من حدود الله "، ثم قام فخطب، قال : " يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ^{٧١}.

و الحديث الشريف يتضمن المحافظة على المصالح الخاصة، وتتمثل في عدم التعدي على حقوق الآخرين، وإيذائهم بسرقة أموالهم، كما يتضمن المحافظة على المصالح العامة بتطبيق الحق العام، وهو إقامة حد السرقة على السارق، وفيه ردع لكل من تسول له نفسه التعدي على حقوق الآخرين سواء عامة، أو خاصة.

وقد تضمن الحديث الشريف فوائد تربوية عظيمة جداً ترسم منهجاً واضحاً في المحافظة على المصالح العامة، والمصالح الخاصة على حد سواء، و سوف أشير إلى بعض هذه الفوائد المهمة ذات العلاقة بموضوعنا، ومنها :

الأولى : المحافظة على الحق العام بتطبيق شرع الله تعالى على كل من وجب عليه حد من حدود الله تعالى، وهذا من أهم وأعظم المصالح العامة التي تجب المحافظة عليها.

(٧١) (البخاري، صحيح البخاري، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، حديث رقم : ٦٧٨٨)، (مسلم، صحيح مسلم، باب قطع السارق الشريف وغيره وأنهى عن الشفاعة في الحدود، حديث رقم : ١٦٨٨)،



الثانية : قَسَمَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الصادق المصدوق بقطع يد ابنته فاطمة الزهراء الشريفة - رضي الله عنها - فيما لو سُرقت ، وحاشاها - رضي الله عنها - ، وهذا تأكيد منه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أول من يحافظ على المصالح العامة ، وعدم محاباة من له صلة قرابة في تقديم المصالح العامة لصالحه دون غيره.

الثالثة : بيان الآثار السلبية لتفشي تقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة ، وأنها دليل الضلال ، والهلاك للأمم في شؤون الحياة كلها : الاقتصادية ، والسياسية ، والتربوية ، والاجتماعية ، والثقافية ، ... الخ ، وهذا توجيه نبوي شريف بأن الأمم السابقة (ضلت) كما هي رواية البخاري ، (وهلك) كما هي رواية مسلم عند عدم المحافظة على المصالح العامة بإقامة العدل ، والمساواة بين الجميع.

الرابعة : الاهتمام والعناية بشدة إنكار عدم المحافظة على المصالح العامة ، وتسلب المصالح الخاصة ، وكَشَفَ خيانة من يثبت تعديه على المصالح العامة ليكون أبلغ في الإنكار ، وعبرة للغير.

الخامسة : السرعة في معالجة ذلك بالوسائل الممكنة ، فقد قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإلقاء خطبة بليغة تحتوي على عبارات قصيرة ، ولكن تحتوى معان واسعة ترسم وتوضح منهج الإسلام في قضية رعاية المصالح العامة ، وعدم تسلط المصالح الخاصة عليها.

السادسة : وضع القوانين ، والعقوبات اللازمة ، والرادعة لكل من تسول له نفسه الاعتداء على حق المال العام.

السابعة : شدة غضب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنكاره لأسامة - رضي الله عنه - في هذا الموضوع لأنه من الموضوعات المهمة التي لا تقبل المسامحة ، أو التنازلات ، لأنه سيترتب عليها فساد ، وضلال ، وهلاك للمجتمع.

الثامنة : تحذير الناس وتببيههم إلى خطورة الشفاعة المفسدة (وليست الحسنة) ، والتي يسعى لها بعض الناس دون إدراك ووعي في أنها تعدي على المصالح العامة ، واهتزاز





للموازنين في العدل، والمساواة بين الناس، وأن هذه صفة من صفات الجاهلية، وأهل الضلال، ووضع الأمور في غير موضعها.

ومن الأمثلة المشرقة في حياة سلف الأمة، ما قام به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في المحافظة الشديدة على المصالح العامة، فمن مواقفه المعروفة : إن ابنه عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - : اشترى إبلاً وأرسلها إلى الحمى حتى سمئت، فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً فقال: لمن هذه الإبل ؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال : فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر بخ... بخ... ابن أمير المؤمنين، ما هذه الإبل ؟ قال: قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى، أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال : فقال: فيقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر اغد إلى رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.^{٧٢}

موقف في غاية الورع، والزهدي، والمحافظة على المصالح العامة، وعدم تقديم المصالح الخاصة عليها، وفي الحقيقة أن السيرة النبوية الشريفة، وسيرة الخلفاء الراشدين، وسلف الأمة الصالح زاخرة بهذه المواقف المضيئة، والمشرقة في سماء المجتمع المسلم، ولا شك أن هذا سر عظيم، ومفتاح أساس في المحافظة على المجتمع، وتطوره، والرقى به، فحينئذ نحن بحاجة ماسة جداً للعودة الصادقة إلى سيرة سلف الأمة، وتلمس أسرار نجاحها، وتفوقها حتى نستطيع أن نعيد للأمة مجدها وعزها.

- منطلقات وأسس مهمة

لقد مر معنا آنفاً حديث المرأة المخزومية، وقد تضمن العديد من الفوائد العظيمة التي ترسم وتضع العلاج الناجع للمحافظة على المصالح العامة، وسوف أشير إلى بعض المنطلقات والأسس المهمة في ذلك :



أولاً : غرس العناية بالمصالح العامة، وتقديمها على المصالح الخاصة في الناشئة منذ المراحل الأولى في حياتهم، ابتداء من الأسرة، فالمدرسة، فالجامعة، وأن يكون الوالدان، والمعلمون قدوة حسنة للنشء.

ثانياً : تكثيف الدروس، ومحاضرات، والخطب، واستخدام كل الأساليب، والوسائل الدعوية، والإعلامية الممكنة، لغرس الوازع الديني في نفوس الناس، بالرقابة الذاتية، والورع من التعدي على المصالح العامة.

ثالثاً : على الإنسان المسلم العاقل البالغ أن يعرف أن المحافظة على المصالح العامة، وعدم تقديم مصلحته الخاصة عليها واجب ديني، ووطني، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لا ضرر ولا ضرار " ^{٧٢} ، وأن تقصيره في ذلك محاسب عليه ومجزى به، قال تعالى : [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] ^{٧٣}

رابعاً : إن شيوع مشكلة ضعف المحافظة على المصالح العامة قد يكون بسبب وجود مشاكل أدت إلى ذلك، وقبل أن نعالج النتائج يجب أن نبحث عن الأسباب، فمثلاً ضعف رواتب العاملين في المجتمع، قد يؤدي إلى الاعتداء على المال العام، والفساد الإداري بشتى صوره.

خامساً : وضع سياسات، وآليات واضحة، ومعلنة للمحافظة على المال العام في كافة المستويات، والتأكد من عدم وجود ثغرات في النظام يتسلل منها ضعف النفوس.

سادساً : أهمية وجود نظام دقيق للمحاسبة لكل من يعتدي على المال العام، فبعض النفوس لا يفيد معها الوعظ والإرشاد، فيكون العقاب المحسوس أكبر رادع لهم عند تجاوزهم.

سابعاً : أهمية إبراز القدوات الحسنة في المجتمع على مختلف المستويات، والتي تميزت بالمحافظة على المصالح العامة، ليكون مثابة نماذج يُحتذى بها.

(٧٢) (ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب من بُني في حقه ما يضر مجاره، حديث رقم : ٢٣٤٠)،

(٧٤) (الرازي : ٧-٨) .

إنشاء أجهزة للإشراف والمتابعة

والمراقبة والمحاسبة



المبحث الثالث عشر : إنشاء أجهزة للإشراف والمتابعة والمراقبة والمحاسبة

إن الطبيعة البشرية تحتاج للتعامل معها في بعض الأحيان إلى شيء من الحزم والشدّة، ولذلك فالقرآن الكريم، وهو كلام خالق الإنسان جلّ جلاله، شرع الكثير من العقوبات الرادعة عند حصول تجاوزات من بني آدم، فهناك القصاص من القاتل، وخذ الرجم، أو الجلد للزاني، وقطع يد السارق، والجلد لشارب الخمر، ومن يعيث في الأرض فساداً حده أكبر يتناسب مع جرمه، قال الله تعالى : [إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ] ^{٧٥}.

إن هذه العقوبات كلها من أجل أن تستقيم الحياة الدنيوية، وأن يُعم الأمن، ويحافظ الناس على دينهم، وأموالهم، وأعراضهم، وأنفسهم، كما قال تعالى : [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] ^{٧٦} أي : إنه استتباب للأمن في البلاد، وقطع لدابر المجرمين، والمفسدين في الأرض، وقطاع الطرق، وعصابات الإفساد، وعصابات الإرهاب التي تفسد في الأرض، وتزعزع البيوت الآمنة، والآهلة بالسكان. ^{٧٧}

والناس في مجتمعاتهم، وتعاملاتهم اليومية قد يحدث من بعضهم تجاوزات متعددة، ومتنوعة على بعضهم بعضاً، ومن بعضهم على المصالح العامة، ولذلك كان لزاماً وضع أجهزة متخصصة، ودقيقة للمتابعة، والإشراف، والمراقبة، والمحاسبة، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .

(٧٥) (المائدة: ٣٣).

(٧٦) (البقرة : ١٧٩) .

(٧٧) (القرقي، دروس صوتية، موقع الشبكة الإسلامية، لدرس رقم : ٣٩٨).



إن الناظر، والمتأمل لأحوال الكثير من المجتمعات الإسلامية اليوم يجد ضعفاً كبيراً في مفهوم الإشراف، والمتابعة، والمحاسبة، في مختلف شؤون الحياة، وهذا يؤكده الإهمال، والعشوائية التي تُعم جوانب كثيرة في المجتمع، فترى سوء نظافة الشوارع العامة، وسوء صيانتها، وفوضى قيادة السيارات، وعدم ضبط ارتفاع أسعار البضائع، وتكاسل، وغياب العاملين في الأجهزة الحكومية، وفوضى المستشفيات العامة، والخاصة، وفوضى عدم تنظيم، وتخطيط الشوارع العامة، والداخلية ... الخ

لقد تميزت الدول المتقدمة بوجود نظام دقيق للمراقبة، والإشراف، والمحاسبة، يشمل كافة قطاعات الدولة، ويشمل كل العاملين في القطاع العام، ويقال: أن المسؤول أيّاً كان قبل أن يستلم مهامه يتم حصر كافة ما لديه من ممتلكات، وبعد انتهاء فترة عمله يتم حصر وجرد ما لديه، وما كان زائداً يتم استلامه منه، ويصبح ملكاً من أملاك الدولة.

ويقول الدكتور عصام الحميدان : إن هذا يسمى اليوم في بعض الدول مبدأ (كشف الثروة الشخصية) للمسؤولين، فالمسؤول لا بد أن يقدم كشفاً بحساب ثروته الشخصية قبل توليه المنصب، وبعد ما يترك المنصب، يتم محاسبته، ويقدم كشفاً بثروته الشخصية، فيقارن بين الكشف الأول، والكشف الثاني، فإذا صار الكشف الثاني زائداً، يُسأل ما سبب هذه الزيادة؟ هل السبب، أمور خاصة يمتلكها أصلاً، أم لديه أعمال تجارية، أم سببها المنصب.^{٧٨}

وهذا النظام الذي نقول : أنه تميزت به الدول المتقدمة اليوم نظام موجود في الإسلام، وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح - رضوان الله عليهم - تحكي قصصاً واقعية في المجتمع المسلم قبل أن تعرف الدول المتقدمة اليوم الحضارة، بل كانت تعيش في جاهلية جهلاء، في العصور

(٧٨) (الحميدان، أخلاقيات المهنة من منظور إسلامي، ج ٢، ص ١٢).



الوسطى، وهذه المواقف التي سطرها عظماء الإسلام تمثل قمة المراقبة، والإشراف، والمحاسبة، والنضج في العمل الإداري.

ومن مواقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الجليلة في تنظيم، وإدارة المجتمع، فقد جاء في الصحيحين عن أبي حميد الساعدي - رضي الله عنه - قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً من الأسد يقال له: ابن اللتبية (قال عمرو وابن أبي عمر على الصدقة) فلما قدم، قال: هذا لكم، وهذا لي أهدى لي، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال : " ما بال عامل أبغته، فيقول هذا لكم، وهذا أهدى لي، أفلا قعد في بيت أبيه، أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بغير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال : (اللهم هل بلغت ؟) مرتين.^{٧٩}

ومن أهم الفوائد التربوية المستفادة من الحديث الشريف، ما يلي :

أولاً : حرص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على تماسك المجتمع المسلم، والقضاء على أسباب الفساد الإداري الذي يزعزعه، ويؤدي به إلى الضلال، والهلاك.

ثانياً : سرعة معالجة الفساد الإداري في المجتمع عند وقوعه مباشرة، وعدم تركه حتى يستشري، ويتفاقم.

ثالثاً : الشدة والحزم مع أهل الفساد الإداري بإيقاع العقوبات المناسبة عليهم، حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

رابعاً : تأدية أجهزة الرقابة، والمحاسبة، والإشراف واجباتهم على أكمل وجه، ومن ثم تفويض الأمر لله تعالى لأنه هو المصلح، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وهذا الحديث الشريف قمة في المحاسبة، والمتابعة، وضبط أحوال العمال داخل المجتمع، حتى لا تصبح الأمور فوضى دون ضبط، أو متابعة، أو محاسبة، فالإنسان إذا





عَلِمَ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَابِعٍ، أَوْ مُحَاسَبٍ مِنْ أَىْ جِهَةٍ مَا، فَرُبَّمَا تَسَوَّلَ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِارْتِكَابِ الْمُعَاصِي، وَالْخَطَايَا، وَإِمَا ظَلَمَ غَيْرِهِ بِالْحَاقِ الضَّرَرَ بِهِمْ، وَقَدْ قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ الْمَشْهُورَةِ : (مِنْ أَمْنِ الْعُقُوبَةِ أَسَاءَ الْأَدَبِ).

وَفِي يَقِينِي لَوْ أَنَّنَا تَبَصَّرْنَا وَوَعَيْنَا جَمِيعاً هَذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ، وَهَذَا الدَّرْسَ الْعَمَلِيَّ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ الصَّحَابِيِّ ابْنِ اللَّتْبِيَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ثُمَّ عَمَلْنَا بِهِ كَقَاعِدَةٍ عَامَةٍ فِي الْمَحَاسِبَةِ، وَالْمُتَابَعَةِ، وَالْإِشْرَافِ لِلْعَمَالِ فِي الْوُضَائِفِ الْعَامَةِ لِأَصْبَحَتِ الْمَجْتَمَعَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْيَوْمَ أَفْضَلَ مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ، وَفِي خَيْرٍ كَثِيرٍ، وَسَارَتْ بِخَطِيئَةٍ ثَابِتَةٍ نَحْوِ التَّقَدُّمِ وَالرُّقْيِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهُنَاكَ مَوْقِفٌ جَلِيلٌ آخَرُ حَصَلَ بَيْنَ الْفَارُوقِ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَبَيْنَ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عِنْدَمَا أَرْسَلَ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا هُرَيْرَةَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ، فَقَدِمَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ، وَسَلَّمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَ عَدُوَّ كِتَابِهِ ؟ قَالَ لَسْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ، وَلَا بِعَدُوِّ كِتَابِهِ، وَلَكِنِّي عَدُوٌّ مِنْ عَادَاهُمَا، قَالَ : فَمَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟ قَالَ خَيْلٌ نَتَجَتْ عِنْدَهُ خَيْلٌ، وَ تَكَاثَرَتْ، وَ غَلَّةٌ رَقِيقٌ لِي عِنْدَهُ عَبِيدٌ يَشْتَغِلُونَ، وَ يَجِيبُونَ لَهُ أَمْوَالًا، وَ أُعْطِيَةٌ تَتَابَعَتْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَأَلَ عُمَرَ، وَ تَحَقَّقَ فَوَجَدُوهُ كَمَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَسَكَتَ عَنْهُ.^{٨٠}

– منطلقات وأسس مهمة

مِنْ أَسْوَاسِ الْإِدَارَةِ النَّاجِحَةِ : جُودَةُ الرِّقَابَةِ، وَالْإِشْرَافِ، وَالْمُتَابَعَةِ، وَالْمَحَاسِبَةِ، فَعِنْدَ فَقْدَانِهَا، أَوْ ضَعْفِهَا سَتُؤَثِّرُ بِدُونِ شَكٍّ سَلْباً عَلَى عَطَاءِ الْعَامِلِينَ وَإِنْتَاجِيَّتِهِمْ، وَبِالنَّاتِلِي يَضْعُفُ عَطَاءُ الْمَجْتَمَعِ، وَتَخْلُفُهُ عَنِ التَّمْيِيزِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّقَدُّمِ، وَمِنْ الْمُنْطَلَقَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ لِنَتْفِيلِ ذَلِكَ، مَا يَلِي :

(٨٠) (الدَّهْمِيُّ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، ج ٢، ص ٦١٢)، (ابن حَبَرٍ الْعَسْكَلَانِيُّ، الْإِصَابَةُ فِي تَحْيِيرِ الصَّحَابَةِ، ج ٧، ص ٤٤٢).



- أولاً :** العناية التامة باختيار العمال الأكفاء في كل الوظائف العامة، وفي جميع المستويات، وخصوصاً الوظائف العليا، والوظائف ذات المواقع الحساسة في المجتمع، والتي أيضاً على مداخل، ومخارج المجتمع.
- ثانياً :** وضع آليات واضحة، ومحددة للإشراف، والمتابعة، والمحاسبة في جميع المستويات الإدارية لضبط أداء العمال بشكل دقيق دون ظلم لأحد، أو محاباة، أو تساهل.
- ثالثاً :** الاهتمام بغرس الرقابة الذاتية في نفوس أفراد المجتمع عن طريق المحاضرات، والخطب، والدروس، وعبر كافة وسائل الإعلام المختلفة، وتذكيرهم بأداء الأمانة، فالمسلم في الغالب إذا ذُكر بالله تعالى تَذَكَّرَ، ورجع.
- رابعاً :** الاعتناء بتربية الناشئة عن طريق الأسرة، والمدرسة، والجامعات، وأن يكون الوالدان، والمعلمون قدوة حسنة أمام طلابهم، فهذه مراحل مهمة للغاية يتعلم منها الناشئة الكثير من القيم التي تصبح قواعد أساسية في حياتهم.
- خامساً :** الاستفادة من التقنيات الحديثة المعاصرة اليوم في عمليات الإشراف، والمراقبة، والمحاسبة، فهناك أجهزة حديثة متميزة، ومتطورة في هذا المجال أخذت بها الدول المتقدمة، فالحكمة ضالة المؤمن، فمتى وجدها، فهو أحق بها.



المبحث الرابع عشر

المحافظة على الهوية الإسلامية



المبحث الرابع عشر: المحافظة على الهوية الإسلامية

إن المحافظة على ما تمتلكه المجتمعات الإسلامية من هوية، وسمات، وملامح مميزة خاصة بها دون غيرها من المجتمعات أمر في غاية الأهمية، لأن الاعتزاز بهذه الهوية يبعث على الفخر، والاعتزاز، والشموخ، والثقة بالنفس، والمجتمع الذي ليس له هوية يتمسك بها، ويتميز بها هو مجتمع ضعيف البنية، حيران، وتائه الرؤية، يترنح تارة نحو الشرق، وتارة نحو الغرب.

ولقد ميز الله تعالى المجتمعات الإسلامية بهوية فريدة في مصادرها، وأصولها وفروعها، وكل متعلقاتها، ومن عايشها، وفهمها، والتزم بها سعد في الدنيا والآخرة، ومن أهم ما يجب المحافظة عليه: العقيدة الإسلامية الصحيحة، والشعائر الإسلامية كلها، وفي مقدمتها أداء الصلوات في المساجد، والمحافظة على اللغة العربية؛ لغة القرآن الكريم، واللباس المحتشم بالنسبة للرجال، والنساء، وكل الأخلاق الإسلامية الفاضلة.

ولأهمية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة كمصدرين أساسيين للهوية الإسلامية، فقد اعتنى الشارع الحكيم اعتناء كبيراً بالمحافظة عليهما، فقال تعالى: [لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] ^{٨١} وقال سبحانه وتعالى: [فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ] ^{٨٢} وكلا الآيتين الكريمتين تشيران إلى ضرورة التمسك بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة لأن فيهما العزة، والرفعة، للإنسان المسلم، ولهذا فهما موضع الفخر، والاعتزاز بهما، قال تعالى: [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ] ^{٨٣}.



ومن الأحاديث الشريفة التي تؤكد المحافظة على الهوية الإسلامية، ما جاء في التحذير من التشبه بالمشركين، ففي الحديث الشريف : عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تشبه بقوم فهو منهم " ^{٨٤}، وذلك لتبقى أمة الإسلام محافظة على هويتها مستقلة بذاتها، وهذا قمة التوجيه في الاعتناء بالهوية الإسلامية والاعتزاز بها حتى إن اليهود قالوا : " ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه " ^{٨٥}.

ولعلي أختم التوجيهات الشرعية بمقولة في غاية الشموخ، والرفعة للإنسان المسلم، وهي للفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : " إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله " ^{٨٦}. إن الناظر والمتأمل في أحوال الكثير من المجتمعات الإسلامية اليوم يرى تساهلاً في الحفاظ على الهوية الإسلامية في كل مجالاتها، ولعلك لو قمت بزيارة إلى بعض هذه المجتمعات في مساجدها، أو أسواقها، أو شوارعها، لأخذتك الدهشة، والاستغراب لما تراه من ضعف التمسك بالهوية الإسلامية، وقد تظن أحياناً أنك في مجتمع غير إسلامي لكثرة المؤثرات الغربية التي غزت مجتمعاتنا.

وللأسف قد تفشى من منذ زمن في الكثير من المجتمعات الإسلامية، وعلى مستوى الرجال، والنساء، وخصوصاً الأطفال، والشباب، تقليد المجتمعات الغربية في لغاتهم، وفي ملابسهم، بل وفي كثير من أساليب، وطرق حياتهم المختلفة، وهذا أمر مؤلم لأن الاستمرار في قبول هذه المؤثرات، وعدم السعي إلى تغييرها، والاعتزاز بالهوية الإسلامية يجعل مجتمعاتنا قابعة في ظل التبعية، والتقليد، ثم الإحساس بالدونية،

(٨٤) (أبو داود، سنن أبي داود، باب في لبس الشهرة، حديث رقم : ٤٠٣٣)، (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم : ٢٠٨٩).

(٨٥) (مسلم، صحيح مسلم، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، حديث رقم : ٧٢٠).

(٨٦) (الحاكم، المستدرک علی الصحيحین، کتاب الإيمان، حديث رقم : ٢٠٧)، (الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم : ٢٨٩٣).



والغلبة، وهنا تنطبق علينا مقولة عالم الاجتماع المسلم عبد الرحمن بن خلدون - يرحمه الله - : بأن المغلوب مولع بتقليد الغالب.

وأخشى أن الحال الذي وصل إليه المسلمون اليوم هو ما أخبر عنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، في الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " لتبتعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم " قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال : " فمن ؟ " ^{٨٧}.

وهذا الإخبار الحق من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يعني الاستسلام، والانقياد لكل آت من الغرب، والشرق، ومخالف لتعليمات شريعتنا، بل الواجب الحق هو أن نعمل، ونجتهد كما عمل غيرنا من المجتمعات في المحافظة على هويتهم، ونعرف الأسباب الحقيقية وراء هذا التراجع، وهذا التقليد الأعمى لكل قادم من الخارج، ثم نتعاون جميعاً، ونرسم الخطط، ونوفر الإمكانيات، وسوف تستقيم سلوكيات المسلمين إن شاء الله تعالى في المستقبل القريب، فترتفع راية أمتنا عالية خفاقة بإذن الله تعالى.

إن الواجب على المسلمين في كل مكان ليس المحافظة على الهوية الإسلامية فحسب، بل الواجب عليهم الدعوة إليها بالحكمة، والموعظة الحسنة، ونشرها في كافة أصقاع الدنيا لأنها مستمدة من ديننا القويم، وهو أشرف الأديان، وخاتمها، وإذا كان غيرنا من المجتمعات غير المسلمة يفتخر، ويعتز بهويته أيما اعتزاز، وهي هوية جلها ممسوخ من الأخلاق، والقيم الفاضلة، فنحن أحق بالافتخار، والاعتزاز بهويتنا، التي هي فعلاً متميزة لأنها معتمدة على أصول ريانية، وتتماشي مع الأخلاق، والقيم، والفضائل السامية، والفطر، والعقول السليمة.

(٨٧) (البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لتبتعن سنن من كان قبلكم "، حديث رقم : ٧٣٢٠)، (مسلم، صحيح مسلم، باب إتياع سنن اليهود والنصارى، حديث رقم : ٦٩٥٢).



قد ترى في المجتمعات غير المسلمة قوة، وصلابة تمسكهم، ومحافظةهم على هويتهم التي يتميزون بها من عادات، وتقاليد، وطقوس ورثوها من أسلافهم، وقد تشعر في بعض ما يعتزون ويفتخرون به، بل ويقدمونه عجائب، وغرائب قد يصل في بعضها إلى السخافة، والتفاهة، ولكن على الرغم من ذلك تجدهم متمسكين بها، ويصرون على إبرازها، وتخليدها بكل الوسائل المتاحة.

- منطلقات وأسس مهمة :

إن قضية المحافظة على الهوية الإسلامية، هي محافظة على الدين الإسلامي، وإن ما يشاهد اليوم في بعض المجتمعات الإسلامية من ضعف في التمسك بالهوية الإسلامية، مرحلة لن تطول بإذن الله تعالى، ولذلك يجب على الجميع التعاون المثمر في تحقيق تعزيز هويتنا في نفوس ناشئتنا وشبابنا، ومن أهم المنطلقات لذلك :

أولاً : يجب العمل على إعداد مشروع استراتيجي، وفق خطط مدروسة بين المجتمعات الإسلامية المختلفة للتعاون الجاد فيما بينهم للمحافظة على الهوية الإسلامية، ووضع السبل الملائمة لوضعها موضع التنفيذ.

ثانياً : يجب أن تتولي وسائط التربية المهمة، ابتداء من الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، والإعلام بوسائله المختلفة، المحافظة على الهوية الإسلامية، وترسيخها، والاعتزاز بها من خلال بيان مكانتها، وصحة، وصدق أصولها، وكذلك إيضاح خطر، وسلبيات تجاهلها، والانسلاخ منها على المجتمع، والأمة الإسلامية.

ثالثاً : ضبط عدم شيوع الأسماء غير الإسلامية، سواء كانت أسماء لأشخاص، أو محلات تجارية، أو أماكن، أو شوارع عامة، وإزالة كل الأسماء الأجنبية، واستبدالها بأسماء إسلامية.

رابعاً : العناية بتوجيه الشباب المبتعثين للعمل، أو للدراسة في الخارج، وإقناعهم بالأساليب المناسبة، بأهمية المحافظة على هويتهم، والعمل على تهيئة محاضن تربية

إسلامية مناسبة لأسرهم، وأطفالهم حتى لا تحدث فجوة بينهم، وبين مجتمعاتهم عند عودتهم، فيصعب علاجها.

خامساً : يجب على القذوات، أو الأسماء المشهورة في المجتمعات الإسلامية عدم الظهور في وسائل الإعلام المختلفة أمام العامة، وهم متأثرون بالثقافات الأجنبية، لأن هذا مدعاة لتقليدهم من الناشئة والشباب.

سادساً : هناك قلة من أبناء جلدتنا الذين تأثروا بالثقافات الأخرى، وأصبحوا دعاة إلى التغريب، وإلى الانسلاخ من الهوية الإسلامية، فيجب محاورتهم ونصحهم بالأساليب المناسبة من خلال نخبة من طلبة العلم المتميزين، وفي الوقت نفسه بيان خطرهم، وفساد طرحهم للعامة حتى لا يتأثروا بهم.

سابعاً : التحذير الشديد من مخططات أعداء الإسلام والمسلمين الذين يحرصون على طمس الهوية الإسلامية، وعلى تشويه صورة الإسلام، وعلى إثارة النزاعات والفتن بين المجتمعات الإسلامية من خلال القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية، وغيرها، والتصدي لهم بكل الوسائل الممكنة.



المبحث الخامس عشر

غرس المبادئ والقيم

والأخلاق الإسلامية

المبحث الخامس عشر: غرس المبادئ والقيم والأخلاق الإسلامية

إن من أسس تقدم المجتمعات والأمم ورقيتها تماسك مجتمعتها، وكلما كان المجتمع متماسكاً بين أفرادها، وعلى مختلف المستويات كان أكثر قوة، ودافعية نحو التقدم والرقى، ولا شك أن تطبيق الأخلاقيات الإسلامية، والقيم، والمبادئ السامية بكل أشكالها، وأنواعها بين أفراد المجتمع بعضهم بعضاً حتى يصبح سلوكاً طبيعياً مألوفاً داعم أساساً لتماسك المجتمع، وتقدمه ورفقه.

إن الدين الإسلامي أرسى الأخلاق الفاضلة، والقيم، والمبادئ، والمثل السامية التي تضمن تماسك المجتمع، وتعايش أفرادها مع بعضهم بعضاً أياً كان توجههم، ومعتقداتهم، ولقد كان الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم في قمة الأخلاق، والتعامل الأخلاقي، وقد امتدح القرآن الكريم خاتمهم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم في سمو أخلاقه، فقال تعالى: [وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ]،^{٨٨} وقد سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: " كان خلقه القرآن".^{٨٩}

وفي الحديث الشريف عند الطبراني في الأوسط: " ثلاث يصفين لك الود في صدر أخيك : تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجالس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه".^{٩٠}

إن بعض المسلمين اليوم أهملوا أبسط حدود العلاقة بين المسلم، وأخيه المسلم، ألا وهو رد السلام عليه، وقد جاء في الحديث المشهور عن الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم أنه قال : " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم " ^{٩١}

والأحاديث الشريفة في باب إفشاء السلام كثيرة جداً، وهي من حق المسلم على أخيه المسلم، وهناك ضعف في القيام به، وإن تم تأديته يؤدي بدون حرارة تبعث من خلالها الحب، والود، وتثبت التواصل، والتماسك الاجتماعي الذي شرع من أجله السلام، فإذا أبسط الحقوق بهذا الضعف، فغيره من باب أولى أضعف.

إن الكثير من المجتمعات الإسلامية اليوم تعيش منذ زمن حالة ضعف الالتزام بالأخلاق، والقيم، والمبادئ، والمثل الإسلامية السامية، مثل : إفشاء السلام، والعدل، والإحسان، والصدق، والأمانة، وحسن الأخلاق، والتواضع، والتراحم، وحسن الظن بالآخرين، والمحافظة على أعراضهم، ومحبة المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه ... الخ لقد سمعنا وقراءنا الكثير أنه في بعض الدول الأوروبية يشاع أنهم تميزوا بالأخلاق الفاضلة في معاملاتهم، ومن أبسطها تقديم التحية بل الحرص على تقديمها ببشاشة وجه، وهناك مقولة اشتهرت عن الشيخ محمد عبده - يرحمه الله - ^{٩٢} واصفاً أوروبا، بقوله : (وجدت إسلام بدون مسلمين، ونحن مسلمين بلا إسلام).

وربما هناك من يوافق، أو يختلف مع مقولة الشيخ محمد عبده عن أوروبا بأن أخلاقياتهم محدودة، وغالباً تكون بحكم القانون، أو لمصالح دنيوية معينة، فلا بأس هذه وجهة نظر مقبولة إلى حد ما .. ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها اليوم، هي أن المجتمعات الإسلامية : ضعيفة التمسك بأخلاقيات الإسلام من أبناء الإسلام، وهذا أصبح واقعاً ملموساً، ومشاهداً.

ومن باب الإنصاف، فقد مكثت أكثر من ستة أشهر في مدينة أوروبية هي : لندن، ولمست الكثير من الأخلاقيات، فمن ذلك : الدقة في احترام المواعيد والأوقات،

(٩١) (مسلم، صحيح مسلم، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب خصومتها، حديث رقم : ٥٤) .

(٩٢) (ولد الشيخ محمد عبده عام ١٢٦٦هـ، وهو من شيوخ الأحرار الذين سافروا للخارج، واعتبر من رواد النهضة والإصلاح، وحول آرائه الفكرة جدل كبير لدى بعض العلماء والمفكرين الإسلاميين، وتوفي عام ١٣٢٣هـ) .



الابتسامه والتلطف في المقابلة، احترام الكبير والمسنين، إرجاع الحقوق لأصحابها وإن قلَّت، المحافظة على النظافة العامة، تعاون الجميع في المحافظة على الأمن، المحافظة على النظام واحترامه، احترام الإنسان وكرامته، الإلتقان في العمل وجودته، الحرص، والمثابرة، والجد، والاجتهاد، تنظيم العمل، والوقت، وعدم العشوائية، التخطيط في العمل.

هذه حقيقة شاهدها ولمستها، وهي في الأصل من أخلاق الإسلام، ولكن لماذا غيرنا نعيشها واقعاً حياً في حياته ؟ والكثير من أبناء الإسلام لا يطبقها، ولا يحافظ عليها إذا كنا فعلاً نحترم توجيهات ديننا ونعترز به ؟ أسئلة تحتاج إلى تأمل، ونقاش، وشفافية تامة، ولعلنا نصل بإذن الله تعالى إلى الجواب الشافي.

ولفضيلة الشيخ بن عثيمين - يرحمه الله - في خطبته عن : " الإيمان وحقيقته " تأكيد لحال المسلمين اليوم، وبعدهم عن الأخلاق الفاضلة، فيقول : إنه إذا فكرنا في حال المسلمين اليوم، لا في هذه الجزيرة فحسب، ولكن في جميع البلاد الإسلامية، نجد مسلمين بلا إسلام، ومؤمنين بلا إيمان إلا أن يشاء الله، نجد ذلك من القمة إلى من لا يجد اللقمة، الكل مقصر، والكل غير قائم بما يجب عليه من حقوق لله تعالى، أو لعباد الله، إننا نجد في الأمة الإسلامية تقصيراً في الإيمان، واليقين، ونجد تقصيراً في الأخلاق الفاضلة وحمائيتها، ونجد تقصيراً في الأعمال.^{٩٣}

إن الإسلام دين السلام، والكمال، وبتشريعه للأخلاق الفاضلة، والقيم، والمبادئ النبيلة، يريد من المسلمين أن يكونوا أمة متميزة في كل شيء، في تعاملها، وفي أعمالها، وفي أقولها، كما أن التعامل الأخلاقي في كل شؤون الحياة اليومية داخل أي مجتمع دليل تحضره، ووعيه بهذه الأخلاق، وأهميتها، ومتى غابت الأخلاق عنه، فهو دليل تخلف، وقلة وعي شئنا أم أبينا، وهذا المعنى اختصره أمير الشعراء أحمد شوقي - يرحمه الله - بقوله :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(٩٣) (بن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل، مطبوع في العقيدة، ص ٦٦).

- منطلقات أساسية مهمة

إن ضعف أكثر المجتمعات الإسلامية في ممارسة الأخلاقيات، والقيم، والمبادئ الإسلامية، يجعل من الواجب استشعار خطورة هذه المشكلة، وتأثيرها السلبي على مستقبل المجتمعات الإسلامية، وفي مقدمة ذلك إعاقة التقدم والرقي الذي نتطلع إليه لأمتنا الإسلامية، ومن أهم المنطلقات، لذلك :

أولاً : العناية والاهتمام بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، وسلف الأمة الصالح، وعرض نماذج وصور من حياتهم المشرقة في تمثلهم للأخلاق الإسلامية في كافة شؤون حياتهم.

ثانياً : على المؤسسات التربوية الرسمية : المدرسة والجامعة، وغير الرسمية : الأسرة، والمسجد، والإعلام بوسائله المختلفة، والمجتمع، والنادي، مسؤولية كبيرة جداً في غرس الأخلاق الفاضلة، والقيم، والمبادئ السامية في نفوس الناشئة، والشباب.

ثالثاً : العناية باستغلال كل الوسائل، والأساليب الممكنة في تثبيت الأخلاق الإسلامية، ولعل استغلال التجمعات الرياضية الكبيرة، كملاعب كرة القدم مثلاً للتأكيد على ذلك أمر في غاية الأهمية.

رابعاً : العناية بوضع حوافز تشجيعية لتثبيت بعض الأخلاقيات الإسلامية، وفي المقابل وضع عقوبات مناسبة لمن يخل بالأخلاق، والآداب العامة في المجتمع.

خامساً : العناية والاهتمام بدراسة المشاكل غير الأخلاقية التي تنشأ في المجتمع من خلال مشاركة أهل الاختصاص في العلوم الشرعية، والتربية وعلم النفس، والاجتماع في هذا الموضوع لوضع الحلول المناسبة لها.

سادساً : يقع على إمام المسجد، وخطيب الجمعة دور عظيم في غرس الأخلاق، والقيم الفاضلة في نفوس الناس، فيجب اختيار الأساليب والأزمنة المناسبة، والعبارات، والمواقف المؤثرة التي تشد السامع، وتحرك مشاعره.



سابعاً: إبراز القدوات الحسنة في المجتمع ممن حباهم الله تعالى بالأخلاق الفاضلة، والالتزام بالقيم، والمبادئ السامية، وبيان الآثار الإيجابية التي تميزوا بها عن غيرهم ليكونوا مشاعل خير لمحاكاتهم، والسير على نهجهم.



المبحث السادس عشر

التصدي لكل ما يؤثر

في زعزعة المجتمع

المبحث السادس عشر : التصدي لكل ما يؤثر في زعزعة المجتمع

إن قوة تماسك المجتمع، ووحدته، واستقراره سبيل للسير بخطوات ثابتة، وواقعة إلى التقدم والرقي نحو المستقبل، وتحقيق نجاحات متميزة في عالم الحياة بمختلف شؤونها، ولو نظرت إلى أي مجتمع قديماً، وحديثاً حقق تقدماً، وتميزاً لوجدت أن من أسباب ذلك، وحدته، وتماسكه، واستقراره.

ومن الطبيعي في أي مجتمع بشري نظراً لاختلاف أفهامهم، وتوجهاتهم أن تظهر بين الفينة، والأخرى مؤثرات سلبية من الداخل، أو من الخارج لأي هدف ما، ربما : سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو ثقافية، ومن ذلك على سبيل المثال: شيوع الغيبة والنميمة، وتقبل الإشاعات المغرضة، وكثرة القيل، والقال فيما لا فائدة منه، وإشاعة أسلوب الغمز واللمز، وشيوع العصبية المذهبية، أو القبلية، وشيوع أفكار، وتوجهات مخالفة للعقيدة الإسلامية، وشيوع أنماط جديدة من العادات، والتقاليد المخالفة للتعاليم الإسلامية، وشيوع الفساد الأخلاقي والإداري بمختلف صورهِ وأشكالهِ.

والمعاش لأحوال بعض المجتمعات الإسلامية يجد بعض هذه السلبيات، أو غيرها، وإذا ما كانت هناك جهات معنية على قدر كبير من الوعي والإدراك ترهب ذلك بدقة، ومن ثم معالجتها بالطرق الوقائية، والعلاجية المناسبة، أو هناك وعي شامل داخل المجتمع للتصدي لها سوف تؤثر سلباً على وحدة المجتمع، والأمة عاجلاً، أم آجلاً حسب قوة المؤثرات، وبالتالي يضعف تماسك المجتمع وتآلفه، فيصبح بؤراً للمنازعات، والفتن، والتصدع.

ولو نظرت إلى المجتمعات المتقدمة اليوم لعرفت أن سر تقدمهم ورقيمهم يكمن في استقرار مجتمعاتهم، والمحافظة عليه من التصدعات الداخلية، والخارجية، وفي كلمة التي ألقاها : (لي كوان يو) الحاكم الإداري السابق لسنغافورة مؤسس سنغافورة الحديثة، الذي تحدث عن مجموعة من النصائح من خلال تجربته في منتدى

التنافسية الدولي الذي عقد في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، في ٢٥/١/٢٠٠٨م، حيث روى للحضور قصة نهضة سنغافورة، وركز على ضرورة توفير الاستقرار للحاق بركب التقدم والحضارة.^{٩٤}

إن الإسلام اهتم اهتماماً كبيراً، واعتنى اعتناء شديداً بتماسك المجتمع ووحدته من أي مؤثرات سلبية تقوده إلى التناحر، والتباغض، والتمزق بين أفرادها، كل ذلك لكي يعيش المجتمع في سلام، ووثام، واستقرار يقود أفرادها إلى الإبداع، وإلى التفوق وإلى التقدم.

إن التوجيهات الشرعية التي تحافظ على تماسك المجتمع، واستقراره في هذا الباب كثيرة جداً، وسوف أشير بشكل مختصر إلى بعضها ليتضح عمق التوجيهات الشرعية في هذا الباب، فمن ذلك :

أولاً: قال الله تعالى : ١ إِيْمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^{٩٥}، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً "^{٩٦} ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "^{٩٧}.

وهذه التوجيهات الشرعية الشريفة تؤكد بكل وضوح تعظيم حقوق المسلمين بعضهم بعضاً، وحثهم على الأخوة، والتراحم، والملاطفة، والتعااضد فيما بينهم من غير مخالفة لشرع الله تعالى، وهذا التراحم، والتعااضد يقوي التلاحم بين أفراد المجتمع بخاصة، والأمة بعامه، وبالتالي يقوده إلى الاستقرار، والتقدم والرفق.

(٩٤) (الصالح، تجربة في كونا، جريدة الأراج، تاريخ ٦/١/٢٠٠٨ م).

(٩٥) (المحررات : ١٠).

(٩٦) (البخاري، صحيح البخاري، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، حديث رقم : ٦٠٢٦)، (مسلم، صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعااضدهم، حديث رقم : ٢٥٨٥)

(٩٧) (مسلم، صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعااضدهم، حديث رقم : ٦٧٥١).



ثانياً : قال الله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ^{٩٨} ، وقال تعالى : **لَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ^{٩٩} **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَاغْلِبْهُ فَشِقَاؤُهُ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ^{١٠٠} ، وقال تعالى : **لَا يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ^{١٠١} ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : **" إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا "** ^{١٠٢}

وكل هذه التوجيهات السامية عند تأملها تجدها جاءت للمحافظة على سلامة المجتمع من أمراض النفوس الخبيثة التي تدعو إلى إلحاق الضرر بالآخرين، من إشاعة الفاحشة بأية وسيلة كانت، أو إشاعة سوء الظن بالآخرين، أو الغيبة، والحسد، والتباغض، وكل هذه الأمراض وغيرها إذا استشرت في أي مجتمع، فتكت به وصدعت جدرانه، فأصبح مجتمعاً مريضاً معلولاً يفقد التوازن في نفسه، فلا يعد قادراً على تحقيق أي نجاحات داخل مجتمعه ناهيك أن يكون له تنافس، وحضور متميز خارج دائرة مجتمعه.

ثالثاً : لقد وصف الله تعالى عمق التلاحم بين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبين صحابته الكرام رضوان الله عليهم، فقال الله تعالى : **أَمْحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ^{١٠٣}.

(٩٨) (النور : ١٩) .

(٩٩) (الحجرات : ٦٢) .

(١٠٠) (الحجرات : ١٢) .

(١٠١) (البخاري، صحيح البخاري، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، حديث رقم : ٦٠٦٤) ، (مسلم، صحيح مسلم، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتجاسس ونحوها، حديث رقم : ٢٥٦٣) .

(١٠٢) (الفتح : ٢٩) .



إن هذا التصوير القرآني البديع للعلاقة، والترابط، والتلاحم بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والذي عبر عنه التصوير القرآني الكريم بأفضل، وأنسب كلمة في قاموس اللغة العربية لحصول التواصل والمحبة، وهي كلمة (رحماء)، وانعكاس ذلك على المجتمع المسلم آنذاك في قوته، وصلابته، وسمو أخلاقه، وفي رقيه حتى أصبح المجتمع في الفترة النبوية تُعرف بأنها : " الفترة الذهبية " لما وصل إليه المجتمع من عمق فريد في الرحمة، والتلاحم، والتعاون بين أفرادهم.

وإذا كان القرآن الكريم صَوَّرَ لنا هذه العلاقة بهذه اللمسة البيانية الجميلة، فإنه يؤكد أن المجتمع المسلم بإتباع هدي نبيه صلى الله عليه وسلم، وإتباع هدي صحابته الكريم قادر على أن يصل إلى هذا السمو الأخلاقي الفريد، وإلى التماسك الاجتماعي العجيب، فيكون حري بالمجتمعات الإسلامية اليوم أن تنهل من سيرة نبيهم عليه الصلاة والسلام، وسيرة صحابته الكرام رضوان الله عليهم، وتتأسى بهم فهي طريق الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

- منطلقات أساسية ومهمة

فقد رأينا مدى أهمية تماسك المجتمع ووحدته في التقدم والرفي، ولذلك يكون من الأهمية الإشارة إلى بعض المنطلقات الأساسية المعينة على ذلك :

أولاً : سرعة معالجة المؤثرات السلبية التي قد تظهر في المجتمع المسلم، وعدم التساهل فيها، وإن بدت صغيرة، فقد أنكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أبي ذر - رضي الله عنه - وهو الصجابي الجليل عندما عَيَّرَ أو سب رجلاً، وكانت أمه أعجمية، فبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : " أفنلت من أمه "، قال : نعم، قال : " إنك امرؤ فيك جاهلية " ^{١٠٣}.

(١٠٣) (البخاري، صحيح البخاري، باب ما ينهى من السباب واللعان، حديث رقم : ٦٠٥٠)، (مسلم، صحيح مسلم، باب إتمام الملوك مما يأكل والباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، حديث رقم ١٦٦١).



ثانياً : العناية بتحقيق المطالب الأساسية للإنسان، التي تجعله يعيش داخل مجتمعه، وقد حفظت كرامته، وأدميته، كالجانب الصحي، والتعليمي، والغذائي، والسكني، والوظيفي... الخ، أما إذا ضعفت العناية في تأمين متطلباته الأساسية، فلا تسبب عما يحدث من مؤثرات سلبية على المجتمع، كردود أفعال طبيعية للمطالبة بتحسين أوضاعه.

ثالثاً : تحقيق العدل والمساواة، وتطبيق شرع الله تعالى من أوامر ونواه في كل شؤون الحياة، وعلى مختلف المستويات، ولنا في حديث المخزومية القرشية التي سرقت فقتلها يدها الرسول صلى الله عليه وسلم أكبر موجه لذلك.^{١٤}

رابعاً : إشاعة التكافل الاجتماعي في المجتمع، والسعي إلى التراحم والتواد بين أفرادها، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : " هل تنصرون، وترزقون إلا بضعفائكم " .^{١٥}

خامساً : توسيع دائرة العلم، وإشاعته بين أفراد المجتمع، لأن المجتمع المتعلم يربأ بنفسه من تناول سفايف الأمور، وحقيرها، وتطلعاته أكبر من حصر نفسه في هذه الدائرة المظلمة، على العكس من الفرد الجاهل فهو عبء على المجتمع، بل ربما يقوده جهله إلى الجريمة، والإخلال بسلامة المجتمع، والعبث بأمنه.

سادساً : على المؤسسات التربوية المختلفة النظامية، ابتداء من الأسرة، والمسجد، والمدرسة، ووسائل الإعلام بوسائله المتنوعة دوراً كبيراً في الحفاظ على سلامة المجتمع، بغرس التربية الإيمانية، والأخلاق الإسلامية الفاضلة التي تجعل للمسلم حصانة، ووقاية من المؤثرات السلبية.

سابعاً : العناية بغرس حب الوطن في نفوس أفراد المجتمع، وترسيخ مفهوم، وآداب المواطنة الصالحة باستخدام الوسائل، والأساليب المتنوعة التي تعزز تماسك المجتمع ووحدته.

(١٠٤) (البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم : ٦٧٨٨)، (مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم : ١٦٨٨) (سبق الإشارة إليه في ص ٧٩) .

(١٠٥) (البخاري، صحيح البخاري، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، حديث رقم : ٢٨٩٦) .

ثامناً : أهمية تآلف القلوب، ووحدتها بين أفراد المجتمع الواحد، ونبذ كل ما يثير فرد على فرد، أو مجموعة على أخرى، أو قبيلة على أخرى، أو طائفة على أخرى ببذئ القول، أو السخرية، والاستهزاء حتى تبقى القلوب متآلفة، فينعكس ذلك على تماسك المجتمع ووحدته، وقد اشتد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض الأنصار والمهاجرين عندما حدث خصام بين أنصاري ومهاجري، فنادى كل واحد منهم قبيلته للنصرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بال دعوى الجاهلية " ، قالوا يا رسول الله :كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال : " دعوها فإنها منتنة " .^{١٠٦}

تاسعاً : العناية التامة بتعليم القرآن الكريم، والاعتصام به، وبالسنة المطهرة، والعمل الجاد على نشر حلقات تحفيظ القرآن الكريم، في كل نواحي المجتمع : في مدنه، وقراه، وبيواديه، فالدارسات العلمية كلها تؤكد أثر القرآن الكريم البالغ في تحلي طلابه بالأخلاق الفاضلة، والبعد عن مساوئ الأخلاق، والتفوق العلمي،^{١٠٧} وصدق الله تعالى القائل : [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا] .^{١٠٨}

(١٠٦) (مسلم، صحيح مسلم، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم : ٢٥٨٤) ، (البخاري، صحيح البخاري، باب قوله : [سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين] ، حديث رقم : ٤٩٠٥) .

(١٠٧) (انظر : جريدة الشرق الأوسط ، العدد ١٢٠٣٩ ، وتاريخ ١٢/١٨/١٤٣٢هـ بعنوان : مدارس تحفيظ القرآن الكريم تصدر قوائم التحصيل والقدرات على مستوى الثانوية في المملكة العربية السعودية) .

(١٠٨) (الإسراء : ٩) .

المبحث السابع عشر

الوضوح والمصداقية

في القرارات والتصرّيات



المبحث السابع عشر : الوضوح والمصادقية في القرارات والتصريحات

إن الوضوح التام، والمصادقية في القرارات، والتصريحات من صفات المؤمنين الصادقين المخلصين الذين يراقبون الله تعالى في أقوالهم، وأفعالهم، ويعلمون أن كل كلمة يتلفظون بها محاسبون عليها يوم القيامة، قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٠٩]

وقد يُعبر اليوم عن موضوع الوضوح، والمصادقية بما يعرف : " بمصطلح الشفافية " الذي يُقصد منه : بأن يكون هناك قدر كبير من العلاقة الواضحة، والتعامل الصادق بين أفراد المجتمع بعضهم بعضاً، وبينهم وبين من يملك القيادة، والإدارة في كافة المواقع، والأجهزة الإدارية التي تحكم مصالح الناس، وتدير شؤونهم سواء كانت على مستوى إداري صغير أم كبير.

وإذا نظرت، ودققت النظر في أحوال بعض المجتمعات الإسلامية، يلحظ مشكلة ضعف المصادقية، وضعف الوضوح في القرارات والتصريحات، وكلنا يعلم ماذا يقوم به المرشحون في الانتخابات، أو ما يصرح به، أو ما يصدر من بعض المسؤولين في بعض الأجهزة الإدارية المتعلقة بحاجات أفراد المجتمع الأساسية، فإن هذه الوعود، وهذه التصريحات، والقرارات بعد فترة من الزمن تصبح نسياً منسياً.

وقد نلاحظ هذه المشكلة عند حدوث أضرار لافئة للأنظار تخص أحد الأجهزة العامة، فنجد أن المسؤول، أو المتحدث الرسمي كما يقال يصرح عبر وسائل الإعلام المختلفة، وهو يقول: سوف نتعامل مع هذه المشكلة حسب الطرق العلمية الحديثة، وسوف نقوم بعمل كذا، ونقوم بإصلاحات كبيرة تضمن عدم تكرار هذه المشكلة، ثم للأسف بعد مرور شهور، أو قل سنوات في الغالب الأعم لم يتغير شيء البتة، والوضع ثابت، وربما زاد الأمر سوء.



إن من الأقوال السلبية المنتشرة في بعض المجتمعات الإسلامية اليوم، أن العلاقات بين الناس لا يمكن أن تسير إلا بالكذب، واللف، والدوران، وإذا ترسخ هذا المفهوم الخاطئ لدى عوام الناس فهو فعلاً مشكلة، وقد تعذرهم بجهلهم، وقلة علمهم، ولكن أن يُرسخ هذا المفهوم عند بعض القيادات الإدارية، فهذه الطامة الكبرى.

إن المجتمعات التي أخذت بزمām التقدم والرقي، ووصلت اليوم إلى ما وصلت إليه، لم تصل عن طريق الوعود الكاذبة، والقرارات، والتصريحات المزيفة، بل وصلت بالمصادقية، وموافقة أفعالهم لأقوالهم، فلا يوجد تناقض، ولا يوجد وعود كاذبة، ومن العبارات الجميلة، والمفيدة للكلمة التي ألقاها : (لي كون يو) الحاكم الإداري لسنغافورة سابقاً وباني نهضتها في منتدى التنافسية في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية بتاريخ ٢٠٠٨/١/١٣م قوله : إنه إلى جانب الشفافية، وانخفاض نسبة الفساد الإداري، والمالي إلى حد أن سنغافورة تصدر المراتب الأولى لمؤشر الشفافية الذي تصدره منظمة الشفافية الدولي.^{١١٠}

إن على المجتمعات الإسلامية اليوم إذا أرادت أن تلحق بزمām الدول المتقدمة، وأن تحقق تفوقاً، وتقدماً، ورقياً، فإنه يكون من الضروري أن يكون هناك وضوح تام، ومصادقية في التصريحات، والقرارات، بل وفي كافة التعاملات، فلا يمكن أن يبنى أي مجتمع برؤية حضارية على أوهام، وآمال ليس لها على أرض الواقع حقيقة وتطبيق.

إن الإسلام بتشريعاته السامية يؤكد على الوضوح التام، وعلى الصدق في الأقوال، والأفعال، وعلى الوفاء بالوعود، ومن هذه التوجيهات :

(١١٠) لي كون يو، كلمة بعنوان : لو ولدت سعودياً ماذا أفعل ؟ منتدى التنافسية، الرياض، المملكة العربية السعودية بتاريخ ٢٠٠٨/١/١٣م، وهذه الكلمة لاقت استحسان الكثير من الكتاب والمفكرين، ولا تخلو منها صحيفة أو موقع على الشبكة العنكبوتية في حينه.



أولاً : قال الله تعالى : لَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ،^{١١١} وهو توجيه عام، ومحكم لكافة المؤمنين كباراً، وصغاراً، رجالاً، ونساء بأن يتقوا الله تعالى، وأن يتحلوا بالصدق، فهو من الأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها خيار الناس، وفضلائهم، وفي مقدمتهم الأنبياء، والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وأبرزهم في ذلك نبينا محمد عليه أفضل صلاة، وأزكى تسليم فهو الملقب : الصادق الأمين.

ثانياً : قال تعالى : لَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ^{١١٢} ، وهذا توجيه عام للمؤمنين في كل زمان، وفي كل مكان، بالمحافظة على عدم مخالفة أفعالهم لأقوالهم.

وهذه الآية الكريمة كما هو واضح ترتبط بالتوجيه الأول، وهو الصدق في الأقوال، والأفعال، فمن كان صادقاً فإنه لا يخالف أفعاله أقواله البتة، فإذا الصدق هو المنطلق الأساس للتعاملات الإنسانية، وهو باب البر، والخير، والفلاح في الدنيا والآخرة.

وقد جاء في الحديث الشريف المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً.^{١١٣}

ثالثاً : قال الله تعالى : لَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا^{١١٤}.

(١١١) (النوبة : ١١٩).

(١١٢) (الصف : ٣-٢).

(١١٣) (مسلم، صحيح مسلم، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم : ٢٦٠٧).

(١١٤) (الأحزاب : ٧٠-٧١).



والم تأمل للآيات السابقة في (**أولاً** ، **ثانياً** ، **ثالثاً**) يتضح أن الله سبحانه وتعالى، قد وجه نداء للمؤمنين، **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**، وهو نداء بأجمل عبارة، وبأحسن وأروع وصف، وهو الإيمان، وفي مجمل هذه الآيات الكريمات، فقد حثت على الآتي :

أولاً : تقوى الله تعالى، فهي وصية الله تعالى للأوليين، والآخرين، وبها وفيها يعيش الفرد، والمجتمع، والأمة في سلام، ووثام، وفي خير، وتقدم، ورفق.

ثانياً : العناية التامة بالصدق في الأقوال، والأفعال، فهو طريق الخير الفلاح، ويهدي إلى البر الذي هو طريق الجنة، وكلنا بدون استثناء حولها ندندن.

ثالثاً : الحرص التام على القول السديد المتمثل في : قول الحق، والصدق، وعدم مخالفة الأفعال، للأقوال، فمن نتائجها الحتمية التي قررها الله تعالى، وهو أصدق القائلين، صلاح الأعمال كلها، ومغفرة الذنوب، ومن يطلع الله تعالى، ورسوله يفوز فوزاً عظيماً في الدنيا بالتوفيق، والعناية، والخير، وفي الآخرة بدخول الجنة، وهي غاية كل مطلوب.

- منطلقات أساسية مهمة

إن مشكلة ضعف الوضوح والمصادقية في القرارات، والتصريحات يحتاج إلى تضافر جهود متكاملة لمعالجتها، ولعلي أشير إلى بعض المنطلقات لذلك :

أولاً : العناية التامة بدور الأسرة، والمدرسة، والجامعة، ووسائل الإعلام المختلفة، في غرس وبيان أهمية الوضوح في المعاملات، والصدق في الأقوال والأفعال، وبيان الآثار، والنتائج الإيجابية المتحققة من وراء ذلك، والتأكيد على أنه سلوك أوجبه الشارع الحكيم، وسلوك تميز به المجتمعات المتحضرة، والمسلمون أولى به.

ثانياً : أهمية مراجعة آليات العمل الإداري في كافة الأجهزة مراجعة دقيقة، ووفق دراسات علمية حديثة للتأكد من ضمان سيرها في تحقيق المصلحة العامة من جهة، والمصلحة الخاصة من جهة ثانية، وعدم طغيان أحدهما على الآخر.



ثالثاً : إيجاد وسائل وأساليب مبتكرة لتوضيح، وبيان العلاقة القائمة بين الأجهزة الإدارية، وفي كافة المستويات، وبين أفراد المجتمع حتى يستطيع كل منهم أن يوصل صوته للآخر، وأن يُحَيِّم ويرفرف على هذه العلاقة الوضوح والصدق.

رابعاً : العناية التامة بإقامة دورات تدريبية لكافة المستويات الإدارية، وفق خطط علمية مدروسة، على أن تشمل توجيهات شرعية توضح أهمية التعامل الصادق، وأهمية الوضوح والشفافية، مع توضيح لأهم المستجدات الإدارية في تطوير العمل، وكيفية إنجازه بكل كفاءة وإتقان.

www.lukah.net
اهداء من شبكة الألوكة
شبكة
الألوكة
www.alukah.net

المبحث الثامن عشر

التعيين للعمال

في كافة الأعمال للأصلح



المبحث الثامن عشر : التعيين للعمال في كافة الأعمال للأصلح

إن التفاضل بين الأشياء عموماً سنة كونية قدرها الله تعالى، ففاضل بين الناس، وجعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضلهم، وفاضل بين الأنبياء، وجعل نبينا محمد صلى عليه وسلم أفضلهم، فقال الله تعالى: 1 تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ... الآية ١٠٤، وفاضل بين الكتب السماوية، وجعل أفضلها القرآن الكريم، وفاضل بين الشهور، وجعل أفضلها شهر رمضان، وفاضل بين الليالي، وجعل أفضلها ليلة القدر، وفاضل بين الأيام، وجعل أفضلها أيام عشر ذي الحجة.

والله تعالى لما خلق الخلق جعلهم متفاوتون في قدراتهم، وأرزاقهم، وأسلوب تفكيرهم، وجعل لكل إنسان قدرات معينة يستطيع من خلالها أن يعمل في هذه الحياة، ويكسب رزقه، بل ويكون له دوره الفاعل في المجتمع مهما قل دوره وصغرت مهمته.

لذلك فالمجتمع بحاجة إلى كل الأدوار، فهو بحاجة إلى : الطبيب، والمهندس، والمعلم، والمخترع، والمفكر، والأديب، والشاعر، وعامل البناء، وعامل النظافة، والحداد، والخباز، والقصاب، والنجار، إلى غير ذلك من الأعمال، وهذا مصداق قول الله تعالى : 1 وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ١١٦.

إن المشكلة لدى المسلمين اليوم تكمن في أن أكثر الناس لا يفقه السنة الإلهية للتفاضل بين الناس لتسيير أمور المجتمع بالشكل المناسب، ولذلك تجد أن بعض

(١١٥) (البقرة : ٢٥٣).

(١١٦) (الزحرف : ٣٢).



الآباء لا يريد إلا أن يكون ابنه طبيباً، أو مهندساً، أو محامياً، وتجده يدفع المبالغ الكبيرة، ويحاول المحاولات المستميتة حتى يصبح ابنه طبيباً، أو مهندساً، أو محامياً، والمشكلة قد يكون ابنه ليس لديه القدرات المناسبة لهذا التخصص، ولو أعطى ابنه الحرية في التوجه إلى التخصص الذي يناسبه، لأبدع فيه، وأصبح مِعْوَلٌ ببناء لمجتمعه وأمته.

إن المجتمعات المتقدمة اليوم، أو التي في طريقها إلى التقدم تسعى جاهدة إلى تعيين الأكفاء من العاملين في الإدارات العامة، وذلك وفق آليات واضحة، ومحددة فلا توجد محسوبية، ولا يوجد خلل في إجراءات التعيين، وإنما يكون التعيين للأصلح، والأجدر، والأكفأ، ولقد أشار (لي كون يو) الحاكم الإداري لسنغافورة سابقاً وباني نهضتها في الكلمة التي ألقاها في منتدى التنافسية في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية بتاريخ ٢٠٠٨/١/١٣م قوله : " حرصت أن يتم التعيين في الوظائف عبر مناضرات عامة مفتوحة للجميع، بحيث يحصل موظفو القطاع العام على رواتب تنافسية مثل القطاع الخاص إن لم يكن أعلى ^{١١٧}."

إن المشكلة التي تعاني منها أكثر المجتمعات الإسلامية اليوم، أنك تجد الكثير ممن يعملون في القطاعات العامة ليسوا على درجة عالية من المهنية، والخبرة، والقدرة، وهناك بالتأكيد من يوجد من هو أفضل منهم علماً، وخبرة، وحسن إدارة، ولكن المشكلة تكمن بالدرجة الأولى، في عدم وجود آليات واضحة، ومقننة لاختيار العاملين، وإن وجدت، فإنك تجد المحسوبية تأخذ دورها، وتأثيرها البالغ في هذا المجال.

لقد أجريت العديد من الدراسات عن أداء العاملين في الوظائف العامة، ونسبة إنجازهم، وأدائهم في بعض المجتمعات الإسلامية، وأسلوب تعيينهم، فوجدت نتائج جداً مقلقة، ومؤشر غير جيد في ضعف آليات التعيين في الوظائف وضعف الفاعلية الحالية لكثير من هؤلاء الموظفين، وبالتالي ضعف تأثيرهم الفاعل للرقى بالأمة، وتطويرها. ^{١١٨}

(١١٧) لي كون يو، كلمة بعنوان : أو ولدت سعودياً ماذا أفعل ؟ منتدى التنافسية، الرياض، المملكة العربية السعودية بتاريخ ٢٠٠٨/١/١٣م.

٢٠٠٨/١/١٣م.

(١١٨) (انظر : دراسة تبناها مركز الملك عبد العزيز لنحوار الوطني حول : ثقافة وأخلاقيات العمل في السعودية، جريدة الشرق الأوسط،

العدد ١١٧٩٣، وتاريخ ١٤٢٣/٤/٨هـ) .

إن الإسلام بتشريعاته السامية تُظَم كل مناحي الحياة، ولعلي لا أطيل في هذا الباب، وأشير إلى بعض التوجيهات، والمواقف العظيمة التي تُعد منهاجاً واضحاً في تعيين العاملين في الوظائف العامة، فمن ذلك :

أولاً : قال الله تعالى : { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ }^{١١٩}

إن وصف القوة والأمانة في اختيار الموظف، وصف دقيق للغاية، وبهما تسير الأعمال، وتتجز على الوجه المطلوب، ويقول الشيخ السعدي - رحمه الله - حول هاتين الصفتين : " وخير أجبر استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملاً بإجارة أو غيرها " ^{١٢٠}

ثانياً : جاء في الحديث الشريف عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال فضرب بيده على منكبي، ثم قال : " يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها " ^{١٢١}

وهذا الحديث الشريف أيضاً أصل من أصول تولي الوظائف العامة، ويؤكد على عدة قضايا رئيسة، منها :

- ١- أهمية توافر الأمانة في المتقدم للوظيفة، ويتضح هذا من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (إنها أمانة).
- ٢- أهمية توافر القوة في المتقدم للوظيفة، ويتضح هذا من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (يا أبا ذر إنك ضعيف).

(١١٩) (القصص : ٢٦).

(١٢٠) (السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦١٤).

(١٢١) (مسلم، صحيح مسلم، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم : ١٨٢٥).



- ٣- الآثار السلبية العظيمة في الدنيا والآخرة إذا أسندت الوظيفة لمن لا تتوافر فيه الشروط السابقة، ويتضح هذا من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (وإنها يوم القيامة خزي وندامة).
- ٤- تكون العواقب حميدة، والنتائج إيجابية لمن قام فيها بالشروط المطلوبة للوظيفة، وأداها بما يرضى الله تعالى، ويتضح ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : (إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها).
- ٥- أهمية وجود لجنة متميزة على مستوى عال من العلم، والخبرة والحكمة للحكم على المتقدمين للوظائف العامة.
- ثالثاً :** وفي الحديث الشريف عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال دخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين : أَمَرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَهُ، فَقَالَ : " إِنَّا لَا نُولِي هَذَا مِنْ سَأَلِهِ، وَلَا مِنْ حَرَصٍ عَلَيْهِ " ^{١٣٢} والسبب في عدم تولي الإمارة لمن سألها أنه غير صالح، ولا مؤهل لهذا الأمر؛ لمحدورين عظيمين:
- الأول : الحرص على الدنيا وإرادة العلو فيها.
- الثاني: أن في سؤاله نوع اتكال على نفسه، وعُجْباً بقدراتها وغروراً بإمكاناتها. ^{١٣٣}
- رابعاً :** وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا ضَيَعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ " ، قال كيف إضاعتها يا رسول الله، قال : " إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ " ^{١٣٤}
- إن المتأمل للتوجيهات الشرعية الكريمة السابقة كلها، يجد أن القاسم المشترك بينها أن تتوافر في المتقدم على الوظائف العامة القوة، والأمانة، ويظهر أن كل التوجيهات تركز عليها بشكل مباشر، أو غير مباشر.

(١٣٢) (البخاري، صحيح البخاري، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، حديث رقم : ٧١٤٩).

(١٣٣) (الشهود، الفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، ص ٢٢).

(١٣٤) (البخاري، صحيح البخاري، باب رفع الأمانة، حديث رقم : ٦٤٩٦).



والأمر المخيف جداً ، والذي ينبغي أن نعد له العدة ، العبارة الواردة في الحديث السابق " إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة " ، وإسناد الأمر إلى غير أهله ضياع للأمانة ، من جانبين :

الأول : من العامل نفسه كونه قبل بالوظيفة لضعفه ، وعدم قدرته .

الثاني : الجهة التي تولت الموافقة على تعيين هذا العامل الضعيف .

ففي هذه الحالة ، دليل قرب الساعة ، والساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق ، كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس " .^{١٢٥}

وهذا التوجيه النبوي يقودنا ، ويحفزنا إلى مزيد من العمل ، والتنظيم ، في حسن رعاية تعيين العمال للأصلح ، وليس القبول بالأمر الواقع الذي هو مؤشر لقرب قيام الساعة إذا بقي على حاله دون عمل جاد لتغييره وتحسينه ، وينذر بمآلات وعواقب وخيمة في الدنيا والآخرة .

- منطلقات وأسس مهمة

لا شك أن الإدارة الناجحة تهتم بتعيين الإنسان المناسب في المكان المناسب ، وهذه عبارة دقيقة ، وجميلة ، وتحمل معان عدة ، وأبعاد مهمة ، وخطيرة للغاية ، فهي مهمة لكون العامل الناجح يحقق الأهداف المطلوبة ، أما كونها خطيرة لأنه في حالة عدم تطبيقها ، تحدث سلبيات لا عد لها ولا حصر .

ومن أهم المنطلقات المهمة لتصحيح تعيين العمال في الوظائف العامة ، ما يلي :

أولاً : أهمية القيام بدراسات ميدانية لحصر أوضاع الموظفين في القطاع العام ، وتكون الدراسة شاملة لكافة النواحي : الاقتصادية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والعلمية ، والمهنية ، يقوم بها متخصصون في هذا المجال ليتم بعد ذلك عمل الإصلاحات اللازمة .

(١٢٥) (مسلم ، صحيح مسلم ، باب قرب الساعة ، حديث رقم : ٢٩٤٩) .

المبحث التاسع عشر

الاستفادة من دور إمام المسجد

وخطبة الجمعة



المبحث التاسع عشر : الاستفادة من دور إمام المسجد وخطبة الجمعة

إن للمسجد في الإسلام دوراً عظيماً وبارزاً في التوجيه، والإرشاد، وإصلاح المجتمع، ولا يختلف على هذه الحقيقة مسلمان البتة، لأن جميع المسلمين يعرفون أن أول عمل بدأه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما وصل إلى المدينة مهاجراً من مكة المكرمة، هو إنشاء المسجد، وكان للمسجد أثره البالغ في صدر الإسلام، حيث كان منطلق العلم، والتوجيه، والقضاء، والتخطيط، والشورى، والإشراف، والتخطيط، والتنظيم، والإعداد لكافة شؤون المجتمع.

ومع يقيني بتطور الحياة، وتعقدها، واتساع مجالاتها مما يصعب أن يكون هناك اتفاق تام بين وظائف المسجد في صدر الإسلام، وبين وظائفه اليوم، إلا أنه لابد أن يكون للمسجد تأثير أقوى في حياة الأمة مما هو عليه اليوم من جهة إمام المسجد، أو من جهة خطبة الجمعة.

وعن خطبة الجمعة يرى بعض المسلمين أنه في عصرنا الحاضر أن الخطباء فرغوا الخطابة من محتواها، وأخرجوها من إطارها الصحيح، وأبعدوها عن أداء رسالتها، ولو سألت الكثير من الناس بعد الخطبة ما عنوان خطبة الجمعة ؟ وماذا فهمت منها ؟ لقال لك : لا أذكر شيئاً ؟! بل إن هناك أناساً من المصلين يتأخرون عن الخطبة، ويحضرون قبل إقامة الصلاة، بسبب مللهم من تكرار الموضوعات، وأسلوب أدائها.^{١٣٦}

وتأكيداً لما ذكر آنفاً، فقد تناول الشيخ / عائض القرني الحديث عن خطبة الجمعة في جريدة الشرق الأوسط بعنوان : (لا تقتلوا خطبة الجمعة)، وبعد أن

استعرض أهمية خطبة الجمعة، ومكانتها، أشار إلى حال بعض الخطباء المؤسف هذه الأيام، وأكد بقوله: "لا بد من إعادة الدراسة لخطبة الجمعة؛ لتؤدي رسالتها، ويحصل الانتفاع بها، وتكون مناسبة إسلامية لزيادة الإيمان، بتهديب النفس، وتطهير الضمير، وإصلاح المجتمع".^{١٢٧}

ولأهمية ما طرحه الدكتور : عائض القرني، ومساهمته لموضوع حيوي، فقد تفاعل معه الكثير من أبناء الإسلام، وفي مجتمعات مختلفة، ولاشك أن هذه التعليقات تعكس نبض الشارع في المجتمعات الإسلامية، ومن هذا التعليقات الكثيرة، ما يلي :

أولاً : عبد العزيز الحري من السعودية، يقول : " عبارات رائعة تحتاج لنشرها، وتعميمها على الخطباء."

ثانياً : عواطف من دولة الكويت، تقول : " لقد حان الوقت لإعادة التفكير في كيفية توصيل، وطرح ديننا الإسلامي الحنيف مع ما يناسب هذا العصر، ودون المساس به، وكما ذكر شيخنا الكريم (عائض القرني) فيما يتعلق بخطبة الجمعة، فذلك شيء ملحوظ، ويتكرر كثيراً، ونرجو من بيدهم الأمر أن يتم بالفعل إعادة دراسة خطبة الجمعة، حتى تكون جاذبة، وخاصة لفئة الشباب وعامة للجميع."

ثالثاً : فؤاد عبد الرؤوف من ألمانيا، يقول : " يا ليت تعمم جريدة الشرق الأوسط هذه المقالة على جميع المساجد العربية وغيرها."

رابعاً : سليمان سليمان من الأردن، يقول: " ياليت ترسل مقالتك الرائعة إلى جميع وزارات الأوقاف في عالمنا العربي لعلهم يعملون بها."

خامساً : طه يوسف من جمهورية مصر العربية، يقول : " أحسنتم أحسن الله إليكم، فالسنة أن تكون الخطبة موجزة مع الثاني في تلاوة القرآن أثناء الصلاة، الآن عكسوا الأمر، فأصبحت الخطبة طويلة جداً، والصلاة قصيرة جداً، وهذا من علامات الساعة، والغريب أن أمثال هؤلاء الأئمة لا يراعون مشاعر المصلين الذين منهم المرضى، وكبار السن، والضعفاء، وصغار السن."

(١٢٧) (القرني، لا تغفلوا خطبة الجمعة، جريد الشرق الأوسط، العدد رقم : (١٠٨٢٩)، بتاريخ ١٩ رجب ١٤٢٩هـ).



سادساً : محمد با بكر من السودان، يقول : " جزاك الله خيراً شيخنا لقد أمانوا الجمعة بالكلام المطاط الممل."

سابعاً : هشام تسمارت من المملكة المغربية، يقول : يمكن القول فعلاً أن خطبة الجمعة أصبحت تتطلب إعادة صياغة، نظراً للحال الذي تبدو عليه اليوم، إن الخطيب يصر على حشر أنفه في كل شيء يبعد عن الدين، ومقاصده، والسبب قد يكون واضحاً أحياناً، وهو تحكم بعض الأجهزة في الدولة فيما يليقه الإمام عن قناعة، أو عن غيرها."

إن هذه التعليقات، وغيرها الكثير ردود أفعال واقعية، ولا شك أنها لم تأت من فراغ لأن الموضوع أصبح حديث الناس في المجالس والإعلام، والغالبية ينادون بضرورة إعادة النظر في خطبة الجمعة، وهذا بالتأكيد مؤشر حي، ونابض لأبناء الإسلام على ضرورة تقوية دور المسجد بشكل عام، وخطبة الجمعة على وجه الخصوص.

إن المتغيرات في زماننا كثيرة جداً، ولعل أبرزها تسارع تطور وسائل الاتصال المختلفة التي جعلت المعلومات متشعبة، ومختلطة في كثير من الأحيان مما قد يصيب الناس، والشباب تحديداً بالتردد والحيرة، الأمر الذي يتطلع فيه المسلمون بكل أمل مشرق إلى دور أكبر للمسجد، وخطبة الجمعة في التوجيه والإصلاح بما يتوافق مع العصر والمتغيرات التي أثرت في المجتمعات الإسلامية من جهة، وفي العمل على نهضة الأمة والرقى بها من جهة ثانية.

إن التوجيهات الشرعية، وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحديداً وضعت الأسس الواضحة، والمعايير المحددة لإمام المسجد، وخطبة الجمعة، ومن أهم التوجيهات الشرعية في هذا الباب، ما يلي :

أولاً : عن واصل بن حيان - رضي الله عنه - قال : قال أبو وائل - وهو شقيق بن سلمة : - خطبنا عمار - رضي الله عنه - فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا : يا أبا



اليقظان لقد أبلغت، وأوجزت، فلو كنت تنفست - أي : أطلت - فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مظنة - أي : علامة - من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً" ١٢٨.

فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف إلى خصلتين عظيمتين إذا وجدتا في الخطيب تمكن من حسن الخطاب، وقوة التأثير، وهما :
الخصلة الأولى : الفقه، والعلم الشرعي الذي يمكنه من أداء الصلاة على وجهها قراءة، وخشوعاً، وأحكاماً، وأداء الخطبة على وجهها.

الخصلة الثانية : البيان، والفصاحة التي تمكنه من جودة الخطاب، ورصانة الأسلوب، وسلامة التعبير، لتقع الخطبة موقعها من النفوس ١٢٩.

ثانياً : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : " إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن منهم الضعيف، والسقيم، والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء " ١٣٠.

- منطلقات وأسس مهمة

إن إعادة صياغة خطب الجمعة، وتأهيل الأئمة ضرورة ملحة في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، لتكون أقوى تأثيراً، ونفعاً، ومن المنطلقات لذلك :

أولاً : العناية بجمع خطب النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم - والاهتمام بدراستها دراسة متأنية للتعرف على أساليبها، ومضامينها،

(١٢٨) (مسلم، صحيح مسلم، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم : ٨٦٩).

(١٢٩) (مزيه، عبد الغني أحمد حبر، خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، ص ١٠).

(١٣٠) (البخاري، صحيح البخاري، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، حديث رقم : ٧٠٣).

واستخراج مواطن القدوة الحسنة، فإن هديه صلى الله عليه وسلم وهدي صحابته الكرام هو الخير، والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثانياً : ضرورة إنشاء مراكز للبحث العلمي، وللمعلومات تعتنى بموضوع الخطب، والدروس للأئمة، والخطباء، وإجراء الدراسات العلمية حولها من حيث جودتها، ودورها في التأثير في المجتمع، والتوصيات، والمقترحات اللازمة لتطويرها.

ثالثاً : القيام بحصر الدراسات السابقة المتعددة، والمتنوعة التي أجريت حول دور المسجد وخطب الجمعة، والنظر في توصياتها، ومقترحاتها، والاستفادة منها.

رابعاً : ضرورة عمل دراسات علمية استطلاعية من قبل متخصصين على مختلف أطراف المجتمع، ومستوياتهم لمعرفة ردود أفعالهم حول دور المسجد، وخطبة الجمعة، والتعرف على مقترحاتهم، وتوجهاتهم، وتطلعاتهم، وطموحاتهم.

خامساً : ضرورة القيام بعمل دراسات علمية ميدانية شاملة لتقييم أئمة المساجد وخطباء الجوامع، تتولها جهات متخصصة، لمعرفة مستواهم، وأوضاعهم العلمية، ومدى فاعليتهم، ونوعية الدروس، والخطب التي يتم إلقاؤها.

سادساً : أهمية الاستعانة بأصحاب الفكر، والرأي، والحكمة في إعادة تصحيح وتوجيه الأئمة والخطباء، وفق احتياجات الواقع، والرؤى المستقبلية لهم.

سابعاً : العناية التامة بإنشاء معاهد متخصصة على مستوى عالٍ من الفكر، والعلم، والثقافة للأئمة والخطباء.



ثامناً : العناية التامة بوضع معايير دقيقة لتعيين الأئمة والخطباء والمؤذنين، وعدم تجاوزها بأي حال من الأحوال.

تاسعاً : عمل برامج، وخطط واضحة للخطب، وفق موضوعات واضحة، وهادفة تفيد الأمة، حسب كل فترة، واحتياجها، ففي هذه الفترة مثلاً : تحتاج الأمة لموضوعات تشعذ الهمم، وتقوي العزائم، وتوصي بإتقان العمل، والأمانة فيه.

عاشرأ : ضرورة إبراز دور الحرمين الشريفين كقدوة لأئمة المساجد والجوامع في العالم الإسلامي، مع العناية الكبيرة بنوعية خطب الجمعة، والدروس العلمية التي يتم إلقاؤها فيه.

الحادي عشر : أهمية عناية الأئمة بعامة، والخطباء بخاصة بحسن الصياغة، والنطق السليم، فالنفوس تستريح لذلك، وتتأثر به، ومتى كان اللفظ كريماً في نفسه، متخيراً في جنسه، وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد، حبيب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب.^{١٣١}

الثاني عشر : ضرورة إنشاء معاهد متخصصة للمؤذنين، نظراً للدور المهم، الذي يقوم به المؤذن، فهو يقوم بأعظم شعيرة، التي عُبر عنها في الحديث : (الدعوة التامة)، فهناك أصوات متميزة، ولكن تجهل كيفية الأسلوب الصحيح الذي يتناسب مع أصواتهم، فكل ما كان المؤذن صوته ندياً وجميلاً كان خاشعاً ومؤثراً في استقطاب المصلين، وتشوقهم لأداء الصلاة.

(١٣١) (الجاحظ، البيان والبيان، ص ٢١٧).

المبحث العشرون

الخاتمة والتوصيات



المبحث العشرون : الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد :

فقد جاءت هذه الدراسة، ونحن نرى بعض المجتمعات الإسلامية اليوم تمر بمرحلة خطيرة من التغيير، وهو انعكاس طبيعي لما تعيشه هذه المجتمعات من ضعف في الاستقرار السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، منذ سنوات طويلة حتى نفذ صبرها، وانفجرت مكامن ضعفها.

وبدون شك أن هذا التغيير سيكون له تأثيره البالغ في مستقبل هذه المجتمعات بخاصة، والأمة الإسلامية بعامة، والذي نؤمله ونرجوه أن يكون المستقبل لهذه المجتمعات، وكافة المجتمعات الإسلامية أكثر استقراراً، وتقدماً في شتى مناحي الحياة المختلفة بإذن الله تعالى.

وهذه الدراسة هي عبارة عن عرض لمجموعة من المقومات المهمة في تقدم ورقي المجتمع المسلم، تم صياغتها من خلال ثلاث رؤى، رؤية تأسيسية، ممثلة في الاسترشاد بما جاء في القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وأخبار سلف الأمة الصالح، ورؤية واقعية، عبارة عن وصف عام لأحوال بعض المجتمعات الإسلامية، ورؤية مستقبلية، تمثل منطلقات وأسس مهمة للإصلاح نحو التقدم والرقى.

وعموماً جاءت هذه الدراسة لتؤكد على حقيقتين مهمتين، هما :

الحقيقة الأولى : تؤكد الدراسة أن الإسلام بسمو تشريعاته جاء ليعيش الإنسان المسلم في أقصى درجات التقدم والرقى، والأخذ بأرقى ما وصل إليه الذكاء البشري، ولكن المشكلة، هي : قصور الفهم لدى بعض أبناء الإسلام لحقيقة الإسلام مما جعلهم يتوجسون خيفة من التقدم والرقى، حتى شاع لدى كثير من غير المسلمين، والمتأثرين بهم من المسلمين فكراً وثقافة أن الإسلام دين جامد ورجعي، ولا يمكن من خلاله يحصل تقدم للأمة.



الحقيقة الثانية : أهمية أن يكون الرقي المطلوب شاملاً، ومتكاملاً، أي : يبدأ من تربية الإنسان المسلم روحياً، وعقلياً، وجسدياً، ونفسياً، ثم ينطلق ليشمل كافة نواحي الحياة : الاجتماعية، والثقافية، والتربوية، والسياسية، والاقتصادية، بحيث يكون الإنسان المسلم، والمجتمع المسلم أنموذجاً، وقدوة في العبادات، والمعاملات، وسائر الأخلاق.

وبتوفيق الله تعالى، تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة، وعشرين مبحثاً، تناول المبحث الأول: تمهيداً للدراسة، ثم من المبحث الثاني إلى المبحث التاسع عشر، تناولت ثمانية عشر مقوماً، وجاء المبحث العشرون متضمناً، خاتمة الدراسة، وتوصياتها، وشكر وتقدير، ثم أهم المصادر والمراجع، وقائمة المحتويات.

التوصيات :

حرصت أن أضع في نهاية كل مقوم بعض المنطلقات والأسس المهمة التي من خلالها يمكن تفعيله، وهنا سوف أشير فقط إلى توصيات عامة، ومن ذلك، ما يلي:

أولاً : العناية بوضع مدة محددة للوصول إلى الهدف الرئيس، ولتكن عشر سنوات أو عشرين سنة، فعلى سبيل المثال : " أن يحصل مجتمع ما على تحقيق مستوى معين من النمو العام في قطاعات محددة ينافس بها بعض الدول المتقدمة "، وهذا له دور كبير في التحفيز، وشحن الهمم، وقياس مستوى الانجاز، ومدى الجدية في العمل، والمنافسة.

ثانياً : ضرورة البدء الفعلي بخطوات عملية، واضحة، ومحددة، والتوقف عن الأقوال المجردة، والشعارات المملة، والتي أخذت منا جهداً، ووقتاً طويلاً، ولم تقدم أي فائدة للأمم، فإن الأوان أن نرفع شعاراً : (كفى أقوالاً ونبدأ أفعالاً).

ثالثاً : أهمية التهيئة النفسية، وإعادة الثقة في نفوس المسلمين، بأنهم قادرون بإذن الله تعالى على التقدم والرقي والمنافسة، فكل الإمكانيات، والقدرات متوافرة لديهم،

والله تعالى معهم في كل أمورهم إذا حققنا التوكل عليه، والتزمنا بمنهج العمل السليم، والجد، والاجتهاد.

رابعاً : العناية التامة بالبدء الفعلي في تأسيس الحكومة الإلكترونية، لتشمل كافة القطاعات العامة، وفق أعلى مراحل التطور الحاسوبي في العالم، وإعداد القوى العاملة المناسبة للتعامل معها، وتوفير الموارد المالية اللازمة لها.

خامساً : أهمية عرض هذه المقومات على مختصين، وخبراء يتمتعون بسعة العلم، والحكمة، والرأي السديد، للنظر فيها، وتحليلها، وترتيب أولوية البدء في تفعيلها بما يتناسب وحاجة كل مجتمع، وإمكاناته المادية، والبشرية.

سادساً : عمل برامج محددة بمدد معينة لكل مقوم، وتوضع آليات واضحة مقننة وفق خطوات مدروسة بعناية تامة، مع المتابعة المستمرة، والدقيقة لكل خطوة وتقويمها لمعرفة مدى نجاحها، ونسبة النجاح فيها، ومدى سلبياتها، ومدى الحاجة إلى دعم، أو تعديل، أو تغيير.

سابعاً : ضرورة إعادة النظر في كل آليات العمل في كافة القطاعات العامة، وتجديد صياغتها، وتحديث إجراءاتها، وخطواتها لتكون أكثر مرونة، وحيوية، وقابلية لمرحلة التغيير المستقبلية.

ثامناً : أهمية إعادة النظر في المنظمات التي تجمع الدول العربية، والإسلامية، الإقليمية، والقارية، لتكون أكثر فاعلية، وتأثيراً، والعمل برؤية جديدة تتناسب مع المرحلة القادمة.

تاسعاً : أهمية عقد ندوات، ومؤتمرات متوالية على مستوى المجتمعات العربية والإسلامية، يدعى لها متخصصون في العلوم الشرعية، والنفسية، والتربوية، والاجتماعية، والاقتصادية، لبحث المشاكل، والسلبيات التي تعاني منها بعض المجتمعات الإسلامية، وتعيق في الوقت نفسه مرحلة التغيير والتقدم، ووضع الحلول الملائمة لها.

عاشراً : أهمية إذابة الخلافات بين جميع الأطراف المتنازعة سواء لأسباب دينية، أو ثقافية على مستوى المجتمع الواحد، وعلى مستوى الأمة الإسلامية، والوصول إلى نقطة اتفاق بين الجميع وأن يكون هدف الجميع، وهمهم الأكبر هو الإصلاح العام، والرقى بالمجتمع وبالأمة إلى موضع المنافسة والتقدم والرقى.

الحادي عشر : أهمية استشعار كافة أفراد المجتمع المسلم، وخصوصاً من بيدهم القرار والتوجيه، بإخلاص أعمالهم لله تعالى، ثم لدينهم ولمجتمعهم ولأمتهم، فتطور الأمة، ومسؤولية الفرد والمجتمع، ويجعلون مراقبة الله تعالى نصب أعينهم، فمن قرط في ذلك فسوف يعرض نفسه للسؤال، والجزاء يوم القيامة. فكل شخص مسؤول، وعلى ثغر من ثغور الإسلام.^{١٣٢}

وفي الختام أتوجه لله سبحانه وتعالى بالشكر على ما من به عليّ من إتمام هذه الدراسة، وأدعوه جلّت قدرته بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول، وأن يحقق بعض الفائدة المرجوة منه في إصلاح الفرد والمجتمع والأمة بأسرها.

كما لا يفوتني شكر كل من أسهم معي في إخراج هذه الدراسة بتوجيه، أو فكرة، أو مراجعة مباحثها، أو دعوة صالحة، سائلاً الله تعالى أن يجزيهم عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وصلی الله وسلم علی سیدنا ونبینا محمد وعلی آله وصحبه أجمعین.

(١٣٢) (انظر : تخریج الأثری لقول الرسول صلی الله علیه وسلم : " كل رجل من المسلمين على لغة من لغة الإسلام، الله الله، لا يلوي الإسلام من قبله "، ص ٦).



قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم وعلومه.

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: علي أحمد عبد الباقي وآخرون، مؤسسة قرطبة، مصر، ١٤١٢هـ.
- ٣- أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٤- السعدي ، عبد الرحمن ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة دار الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨هـ.
- ٥- القرطبي ، محمد أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

ثانياً : السنة النبوية الشريفة وعلومها.

- ٦- ابن حجر ، أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الريان ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ.
- ٧- ابن حنبل ، أحمد ، مسند أحمد ، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف الدكتور/ عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ٨- أبو داود ، سليمان ابن الأشعث ، سنن أبي داود، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ٩- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٠- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
- ١١- البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، موسوعة الحديث الشريف ، الكتب الستة ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠هـ.
- ١٢- البيهقي ، أحمد بن الحسن بن علي ، السنن الكبرى وفي ذيله الجواهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند - حيدرآباد، الطبعة : الأولى - ١٣٤٤هـ.



- ٢٧- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد ، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة ، الثالثة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٢٨- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، ١٩٦٨ م.
- ٢٩- جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٢٠٣٩ ، وتاريخ ١٤٣٢/١٢/١٨هـ استطلاع بعنوان : مدارس تحفيظ القرآن الكريم تتصدر قوائم التحصيل والقدرات على مستوى الثانوية في المملكة العربية السعودية.
- ٣٠- جامعة الملك سعود ، منتديات الحوار، الشبكة العنكبوتية.
- ٣١- الحارثي، فهد العرابي، أزمة البحث العلمي والتنمية، رئيس مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام ، الشبكة العنكبوتية.
- ٣٢- الحازمي ، عبد الرحمن سعيد ، ضعف وضوح الرؤية لحقائق وأحكام الدين، تقديم الشيخ/سعيد بن مسفر القحطاني، مطابع الصفا، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٣٣- الحميدان، عصام بن عبد المحسن، أخلاقيات المهنة من منظور إسلامي، دليل لكل داعية، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.
- ٣٤- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي ، الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل بن يوسف العزاوي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.
- ٣٥- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين، مطبعة السعادة - مصر ، ١٣٧١هـ.
- ٣٦- الشحود، علي بن نايف ، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.
- ٣٧- الشحود ، علي بن نايف، المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.
- ٣٨- الصالح، محمد مساعد ، مقال : تجربة لي كوان يو، جريدة، الأبراج، بتاريخ ٦/١/٢٠٠٨م.
- ٣٩- العثيمين، محمد بن صالح، مجموع فتاوى ورسائل، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.
- ٤٠- عدد من المختصين بإشراف الشيخ : صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ .
- ٤١- الغزالي ، محمد ، خطب الشيخ محمد الغزالي، المكتبة الشاملة ، الإصدار الثاني.



- ٤٢- الفناني، زين الدين عبد العزيز المليباري، إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
- ٤٣- القرطبي، أبو عمر يوسف، جامع بيان العلم وفضله، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان - دار ابن حزم، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٤٤- القرني، عائض بن عبد الله، دروس للشيخ عائض القرني، معاملة عمر لرعيته، رقم الدرس: ٣٩٨، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
- ٤٥- القرني، عائض بن عبد الله، لا تقتلوا خطبة الجمعة، جريد الشرق الأوسط، العدد رقم: (١٠٨٢٩)، وتاريخ ١٩ رجب ١٤٢٩هـ.
- ٤٦- القرني، عائض بن عبد الله، دروس صوتية، موقع الشبكة الإسلامية، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
- ٤٧- لي كوان يو، "لو ولدت سعودياً ماذا أفعل؟"، منتدى التفاضلية الدولي الرياض - المملكة العربية السعودية، بتاريخ ٢٥/١/٢٠٠٨م.
- ٤٨- المباركفوري، صفى الرحمن، الرحيق المختوم، دار الكتاب والسنة، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٤٩- المبرد، يوسف بن حسن بن عبد الهادي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥٠- مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، دراسة حول ثقافة وأخلاقيات العمل في السعودية، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١١٧٩٣، وتاريخ ٤/٨/١٤٣٢هـ.
- ٥١- مزهر، عبد الغني أحمد جبر، خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.
- ٥٢- النجار، محمد وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٩م.



(سيرة ذاتية للمؤلف)

أولاً : بيانات شخصية.

الاسم : د / عبد الرحمن سعيد حسين الحازمي.

مكان وتاريخ الميلاد : ١٣٨٠هـ مكة المكرمة.

ثانياً : الشهادات العلمية والدورات :

- ١- درس الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية في مكة المكرمة.
 - ٢- حصل على درجة البكالوريوس من جامعة الملك عبد العزيز بجدة - كلية الاقتصاد والإدارة، تخصص إدارة عامة عام ١٤٠٢هـ.
 - ٣- حصل على درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة - كلية التربية - قسم الإدارة التربوية والتخطيط عام ١٤١٠هـ بتقدير عام ممتاز، وعنوان الرسالة : (دور الإرشاد الأكاديمي في تحقيق احتياجات الطلاب في الثانويات المطورة بمكة المكرمة).
 - ٤- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة - كلية التربية - قسم التربية الإسلامية والمقارنة - تخصص الأصول الإسلامية للتربية - عام ١٤٢١هـ بتقدير عام ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات ومراكز البحث العلمي، وعنوان الرسالة: (التوجيه الإسلامي لأصول التربية).
 - ٥- حصل على بعض الدورات في اتخاذ القرار، والإدارة الإشرافية، وفي اللغة الانجليزية في السعودية، وفي بريطانيا.
- ثالثاً : الخبرات العملية :**

- بدأ العمل الحكومي في فرع مطابع الحكومة بمكة المكرمة، ثم انتقل إلى إدارة الأوقاف والمساجد في مكة المكرمة.
- رُشح للعمل في فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة مكة المكرمة منذ تأسيسها مطلع عام ١٤١٤هـ، وتقلد فيه بعض المناصب الإدارية.

- عُيِّنَ مديراً لفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في منطقة مكة المكرمة اعتباراً من ١٤٢٤/٨/١هـ، وحتى تاريخ ١٤٣١/١٢/٣٠هـ.
- عُيِّنَ مشرفاً على الدعاة في مكتب الدعوة في بريطانيا التابع لوزارة الشؤون الإسلامية من تاريخ ١٤٣٢/١/١٥هـ، وحتى تاريخ ١٤٣٢/٨/١٧هـ.
- مثل الوزارة نيابة عن معالي الوزير في حضور حفل المنتدى الإسلامي في قاعة المحكمة الملكية في لندن بمناسبة مرور (٢٥) عاماً على تأسيسه في رجب عام ١٤٣٢هـ / الموافق يونية ٢٠١١م.

رابعاً : عضوية المجالس واللجان الحكومية.

- عُيِّنَ عضواً في عدة مجالس ولجان حكومية لفترة عمله في فرع الوزارة منها :
- عضو مجلس منطقة مكة المكرمة.
- عضو مجلس محافظة جدة.
- عضو مجلس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في منطقة مكة المكرمة.
- عضو اللجنة الاجتماعية والتعليمية بمجلس منطقة مكة المكرمة.
- نائب رئيس اللجنة الاجتماعية وعضو اللجنة التعليمية بمجلس محافظة جدة.
- نائب رئيس مجلس الأوقاف الفرعي بمكة المكرمة.
- خامساً : عُيِّنَ مستشاراً في مكتب معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- سادساً : عُيِّنَ عضواً ممثلاً لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في الشركات التالية :

- ١- شركة مكة للإنشاء والتعمير.
- ٢- شركة جبل عمر للتطوير.
- ٣- شركة أم القرى للتنمية والإعمار.

سابعاً : الإنتاج العلمي :

- ١- التوجيه الإسلامي لأصول التربية (مطبوع).
- ٢- الازدواجية في السلوك من منظور التربية الإسلامية (مطبوع).



- ٢- الهداية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية (مطبوع).
 - ٤- الذرية في القرآن الكريم (دراسة تأصيلية لتربية الأولاد في الإسلام) (مطبوع).
 - ٥- البشارة في القرآن الكريم ومضامينها التربوية (مطبوع).
 - ٦- أكثر الناس .. أوصافهم في القرآن الكريم والمضامين التربوية المستفادة من ذلك (مطبوع).
 - ٧- احذروا الغفلة (دراسة لمواضع الغفلة في القرآن الكريم ومعالجتها من منظور تربوي إسلامي) (مطبوع).
 - ٨- ضعف وضوح الرؤية لحقائق وأحكام الدين أسبابه وطرق علاجه من منظور التربية الإسلامية (مطبوع).
 - ٩- توجيهات تربوية من القرآن الكريم (بحث مقدم لمؤتمر التربية الإسلامية وبناء المسلم المعاصر من الفترة ٢٢ - ٢٤ محرم ١٤٢٧هـ).
 - ١٠- إطلالة على جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في خدمة وتوعية الحجاج والمعتمرين والزوار (بحث مشترك مقدم للملتقى العلمي الثاني لأبحاث المدينة المنورة بجامعة طيبة من الفترة ٢٤ - ٢٧ صفر ١٤٢٩هـ).
 - ١١- شارك في تدريس مادة : (مقدمة في التربية) لطلاب البكالوريوس في جامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ.
 - ١٢- شارك مع مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي بجاكرتا في إلقاء بعض المحاضرات التربوية في صيف عام ١٤٢٩هـ.
 - ١٣- كتب سلسلة مقالات بعنوان : (التربية في القرآن الكريم) في جريدة الندوة تربو عن (٨٠) مقالاً.
 - ١٤- له مشاركات صحفية وإعلامية.
- البريد الإلكتروني : dr.a.alhazmy@hotmail.com



قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم : الدكتور / حسن بن علي الحجاجي.
٦	تقديم : الدكتور / سعيد بن مسفر القحطاني.
٧	المقدمة.
١٠	المبحث الأول : تمهيدي ، ويشمل : ما هي أسباب وضع مقومات للرقى بالأمة ؟ على من تقع مسؤولية تنفيذ هذه المقومات ؟ أهداف الدراسة ، مصطلحات الدراسة.
١٥	المبحث الثاني : غرس عقيدة التوحيد بمفهومها الشامل.
٢٤	المبحث الثالث : تربية الفرد ووصوله إلى كماله البشري.
٣٤	المبحث الرابع : الاهتمام بالعمل الجماعي بدلاً من الفردية.
٤٠	المبحث الخامس : العناية بالجودة والإتقان في كل شؤون حياتنا.
٤٧	المبحث السادس : الحرص والاهتمام على أداء الأمانة.
٥٦	المبحث السابع : تواصل القيادة مع مستويات الإدارة الوسطى والدنيا.
٦٤	المبحث الثامن : حل المشكلات بالتركيز على أسبابها دون نتائجها.
٧٠	المبحث التاسع : العناية بالتخطيط والتدريب والتأهيل وتطوير القدرات.
٧٦	المبحث العاشر : إنشاء مراكز علمية في البحث العلمي والمعلومات.
٨٢	المبحث الحادي عشر : الاستفادة مما عند الأمم الأخرى في الشرق والغرب من علوم متطورة ومن تجارب وخبرات مفيدة.
٩٠	المبحث الثاني عشر : تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة.
٩٦	المبحث الثالث عشر : إنشاء أجهزة للإشراف والمتابعة والمراقبة والمحاسبة.
١٠٢	المبحث الرابع عشر : المحافظة على الهوية الإسلامية.
١٠٨	المبحث الخامس عشر : غرس المبادئ والقيم والأخلاق الإسلامية.



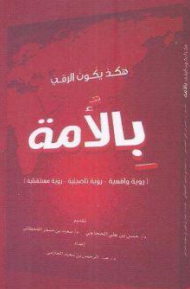
١١٤	المبحث السادس عشر : التصدي لكل ما يؤثر في زعزعة المجتمع.
١٢١	المبحث السابع عشر : الوضوح والمصادقية في القرارات والتصريحات.
١٢٧	المبحث الثامن عشر : التعيين للعمال في كافة الأعمال للأصلح.
١٣٤	المبحث التاسع عشر : الاستفادة من دور إمام المسجد وخطبة الجمعة.
١٤١	المبحث العشرون : الخاتمة والتوصيات.
١٤٦	قائمة المصادر والمراجع.
١٥١	السيرة الذاتية للمؤلف.
١٥٤	قائمة المحتويات.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول
الله وعلى آله وصحبه وسلم :
" هكذا يكون الرقي بالأمّة " كتاب مليء
بالأمل والتفاؤل ، ومستنهض للهمم
ومحفز للرقي وهو ما نحتاج إليه في هذا
العصر ، وإني أهنيء أخي د . عبد الرحمن
الحازمي على نجاحه في طرح مثل هذه
الرسائل الجميلة والمفيدة التي تستحق
الإطلاع والاهتمام وإلى طرح آخر يا أبا
باسل .

أخوكم

د. علي بن مقبول العمري

الأمين العام للهيئة الإسلامية العالمية للتعليم



المكتب النعاني بالدعوة والدراسة والتوعية للحالات ببرجدة

جدة - طريق مكة القديم - كيلو ١٢ خلف مستوصف سابا - س ب : (١٠٢١٢٧) جدة (٢١٢٢١)

هاتف : (٦٢٠٠٠٥) تحويلة (١٣١) فاكس : (٦٢٥٠٢٩٨) القسم النسائي : (٦٢٤٤٤٤٢)

رقم الحساب : (٢٧٨٦٠٨٠١٠٠٧٤٠٠٧) مصرف الراجحي